فإنه إن كانت الجمعة بمنى جمع - و كان يعد منى مصراً ، وإن كانت الجمعة بعرفة ؛ فلا جمعة في ذلك ، وقال أهل المدينة : إذا وافق يوم الجمعة ، يوم العرفة ، أو يوم النحر ، أو بعض أيام التشريق ؛ فلا يجمع في شئ من تلك الأيام ، و قال محمد : قول أهل المدينة في هذا أعجب إلى من قول أبي حنيفة (٣٩) .

قد خالف الإمام محمد بن إدريس الشافعي آراء مالك والمالكية في كتابه : "الأم" ، وأورد فيه مبحثاً علاحدة بـ "كتاب اختلاف مالك والشافعي" ، وذكر فيه قضايا عديدة احتج فيها مالك بالعمل ، فالشافعي رفض الاحتجاج بعمل أهل المدينة ، إنه يرى أن إجماع أهل المدينة ليس إجماع كله أو الأكثر منه ، لأنه قد خالف إعلام أهل المدينة من كل قرن في بعض أقاويلهم ، أيضاً إن أهل المدينة يثبتون سنناً لا يرد فيها عن أحد من الأئمة شئ يوافقه ، بل يوردون عن بعضهم فيها خلاف ما يردونه عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ كما في القسامة (٤٠) ، ويردون سنناً عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لقول عمر رضي الله عنه ؛ كما في التطييب قبل الإحرام (٤١) ، وإنه ذكر حديثاً عن مالك الذي رواه سعد بن أبي وقاص ، إنه صلى الله عليه وسلم تمتع بالعمرة إلى الحج ، ثم روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : افصلوا بين حجكم وعمرتكم - فمالك يثبت بعمل أهل المدينة أنه يكره العمرة في أشهر الحج ، فالشافعي يرد هذا بالأحاديث والروايات (٤٢) ؛ فقد ذكر في "الأم" عن رفض الشافعي على احتجاج عمل أهل المدينة ، قال الشافعي : أخبرنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عائشة أم المؤمنين ، أنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء إلا في المسجد ، قلت للشافعي : فإنا نكره الصلاة على

الميت في المسجد ، أرويتم هذا أنه صلى على عمر في المسجد ، فكيف كرهتم الأمر فيه ، و قد ذكره صاحبكم ، أذكر حديثاً خالفه عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فاخترتم أحد الحديثين على الآخر ، فقلت : ما ذكر فيه شيئاً علمناه ، فقال الشافعي : فكيف يجوز أن تدعوا ما رويتم عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعن أصحاب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، إنهم فعلوه بعمر ، هذا عندكم عمل مجتمع عليه ، لأنه لا نرى من أصحاب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أحداً حضر موت عمر ؛ فتخلف عن جنازته فتركتم هذا بغير شئ رويتموه - وكيف أجزتم أن ينام في المسجد ، ويمر فيه الجنب طريقاً ، ولا يجوز أن يصلى فيه على الميت (٤٣) .

قد أورد الإمام بن حزم الأندلسي مبحثاً في كتابه : "الإحكام في أصول الأحكام" عن إبطال قول من قال : "الإجماع هو إجماع أهل المدينة" ؛ فذكر فيه أولاً اختلاف المالكية في كون إجماعهم إجماعاً وحجة من جهة النقل كان أو من جهة الاجتهاد ، ثم رد دعواهم بـ "إن المدينة أفضل البلاد" من أدلة القرآن الكريم ، والسنة الشريفة المطهرة ، ثم أورد أمثلة في ترك أهل المدينة عملهم ، كما ذكر عن سجدة عمر في : ﴿ إذا السماء انشقّتْ ﴾ و سجود الناس معه ، فقال : إذا قرأ السجدة ، و هو يخطب يوم الجمعة ؛ فنزل عن المنبر ؛ فسجد وسجدوا معه ، ثم رجع إلى خطبته ، فقال هؤلاء المنتمون إلى اتباع أهل المدينة : هذا لا يجوز تقليداً لخطاء مالك في ذلك ، ولا سبيل إلى أن يوجد عمل لأهل المدينة أعم من هذا وتركوا إجماع أهل المدينة إذا صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر صلاة صلاها بالناس ، فقالوا : هذه صلاة فاسدة ، تقليداً لخطأ مالك في ذلك (٤٤) ، يقول مالك في العيب في الرقيق : الأمر المجتمع عليه عندنا فيمن باع عبداً أو

وليدة أو حيواناً بالبراءة من أهل الميراث أو غيرهم ؛ فقد برئ من كل عيب فيما باع إلا أن يكون علم في ذلك عيباً ؛ فكتمه ، فإن كان علم عيباً ؛ فكتمه ، لم تنفعه تبرئته ، و كان ما باع مردوداً عليه (٤٥) ، قال ابن حزم : والذي عليه العمل عند أصحابه ومقلديه من قوله هو أن حكم الحيوان مخالف لحكم الرقيق ، وإن بيع البراءة لا يجوز البتة في الحيوان ، لكنه كالعروض لا يبرأ من عيب فيه علمه أو لم يعلمه ، وقال أيضاً : فإذا كان عند هؤلآء المحرمين إجماع أهل المدينة إجماعاً لا يحل خلافه ، وهذا مالك ههنا قد خالف ما ذكر : إنه الأمر المجتمع عليه عندهم ، فلابد ضرورة من أحد حكمين لا ثالث لهما ، إما إبطال تهويلهم بإجماع أهل المدينة وبخلافه ، وجواز مخالفته ، وإما أن يلحقوا بمالك الذي قلدوه دينهم ما يلحق مخالف الإجماع الذي يقرّ أنه إجماع (٤٦) .

يرى ابن حزم أن المسائل التي ذكر مالك أنها إجماع أهل المدينة تنقسم إلى قسمين – أحدهما : لا يعلم فيه خلاف من أحد من الناس في سائر الأمصار ، وهو الأقل ، والثاني : قد وجدنا فيه الخلاف ، كما هو موجود في غير المدينة ، إن إجماع أهل المدينة إما أن يكون عن توقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن اجتهاد ، وكل اجتهاد الذي أدى إلى ما لا نص فيه أو إلى خلاف النص ؛ فهو باطل (٤٧) .

أخيراً نحن نستطيع القول ، إنه قد ظهر في الفقه المدني "العمل" ومصطلحات مختلفة في هذه المناسبة قبل الإمام مالك ، و استخدم مالك هذا الأصل في قضاياه – فهذا يدل على أن الاحتجاج بعمل أهل المدينة كان يجرى من زمن قديم ، ولكن مرتبته عند المدنيين ، وعند مالك ليس من اليسير تحديدها ، كثيراً ما يطلق على عمل أهل المدينة : "إجماع أهل

المدينة" و يرجع ذلك إلى وجود المصطلح الذي يستعمله مالك "الأمر المجتمع عليه" ، و لم يستعمل كلمة : "الإجماع" مطلقة في الموطأ أو في المدونة ، و إن ذكر في الموطأ اثنتين وستين قضية ادعى فيها إجماع أهل المدينة ، وفي المدونة أربع قضايا سواها .

المراجع و المصادر :

(٣٤) محمد بن الحسن الشيباني : الحجة على أهل المدينة – بيروت ، مكتبة عالم الكتب ، سنة ١٩٨٣م : ج/١ ، ص/٢٣-٣٤ .
(٣٥) أيضاً : ج/١ ، ص/٣٥-٤٢ .
(٣٦) أيضاً : ج/١ ، ص/١٦٨-١٧١ .
(٣٧) أيضاً : ج/١ ، ص/٢٠٣-٢٠٧ .
(٣٨) أيضاً : ج/٣ ، ص/١٤٠-١٤٩ .
(٣٩) أيضاً : ج/٢ ، ص/٤٢٩-٤٣١ .
(٤٠) الشافعي محمد بن إدريس : الأم – بيروت ، دار الفكر ، سنة ١٩٨٣م : ج/٧، ص/٢٤٧ .
(٤١) أيضاً : ج/٧ ، ص/٢٢٧ .
(٤٢) أيضاً : ج/٧ ، ص/٢٢٦ .
(٤٣) أيضاً : ج/٧ ، ص/٢٢٢ .
(٤٤) ابن حزم الأندلسي : الإحكام في أصول الأحكام ، ج/١ ، ص/٥٨٨ .
(٤٥) الموطأ – للإمام مالك : ص/٢٥٢ .
(٤٦) ابن حزم الأندلسي : الإحكام في أصول الأحكام : ج/١ ، ص/٥٩٧ .
(٤٧) أيضاً : ص/٥٩٠ .

أصول المعاش الإسلامي
في ضوء الكتاب والسنة

[١] بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(محاضر بدار العلوم الإسلامية بسنتي - الهند)

من ميزات الإسلام الأساسية المبدئية أنه أرشد أتباعه إلى الطريق القويم المستقيم في سائر ما ينوط بالحياة و المجتمع ، و لم يدع أي جزء من الحياة إلا و قد شحنه و ملأه بدراساته المتزنة المعتدلة التي لا تقبل قطّ ، شيئاً من الزيغ والعوج ، والخلل والخطل ، والزلل والشلل .

وإذا درسنا نظام الحياة الإسلامية ؛ فنعثر على تلك الأصول والضوابط القيمة التي وضعها وقررها الإسلام للمعاش والاقتصاد ، وهذا لكي يندمج كل من اكتساب الأموال والثروات واستخدامها وجمعها وصرفها في محيط الإسلام وإطاره .

ولنكن على بينة أن الإسلام لا يرى تحديد أساليب ، وأشكال الكسب والاكتساب ، بل يرى أن الأمور والعقود المعاشية البشرية مهما تغيرت وارتقت ، ولكنها لا تنحرف عن الأصول المبدئية التي وضعها الإسلام ، قيد شعرة .

اكتساب الرزق من حقوق الإنسان الفطرية :

ومعلوم أن تموين الرزق وتوفيره لمن أولى حاجيات الكائن الحيّ ، وكل ما خلق الله في هذا الكون الواسع قد سخر للإنسان ، و لذا يجدر لكل إنسان أن يكثف محاولاته ابتغاء لرزقه من أرض الله الواسعة ، وهذا غيض من فيض ربوبية الله جلّ وعلا ، كما صرح به نفسه : ﴿ و ما من دابّة في

الأرض * إلا على الله رزقها * ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ [سورة هود/٦] .

فاتضح أن اكتساب الرزق لمن الحقوق الطبيعة الفطرية لسائر البشر بدون أي تخصيص و استثناء ، و فارق عنصري و وطني ، و ديني وفكري ، و الباب سنفتح على مصراعيه لكل من أراد أن يحاول نيل حظه و نصيبه من الوسائل التي وفّرها الله القدير على أرضه .

أما النعم الإلهية التي لا يكون خلقها إلا للنفع والإفادة العامة منوطاً بجهود أحد من الناس وكفاءاتهم و مواهبهم ، فهي تعمّ البشر كلهم ، ويجوز للجميع أن يستخدمها ، وينتفع منها ؛ حسبما شاء و احتاج ، و منها مياه الأنهار والبرك والينابيع ، وأحطاب الصحارى والمعادن ، وحيوانات الغابات والهواء ، والنبات الطبيعي والمراعي وغير ذلك .

فهذه الأشياء قد خلقها الله لنفع عباده ، فلا يجوز أن نتركها هملاً ، بل يجب أن ننتفع بها ، وندع الفرصة سانحة لكي ينتفع بها الأُخر .

ونظراً إلى ذلك قد قرّر الإسلام أن الرجل لا يجوز أن يترك أرضه ميتة إلى أكثر من ثلاثة أعوام ، فإنه لو لم يستخدم أرضه في الزراعة أو البناء أو غير ذلك أكثر من ثلاث سنوات لتعد أرضه بعد ذلك مباحة متروكة للآخرين ، و إن استخدمها غيره بعد ذلك لا يصح أن يدّعى صاحب الأرض عليه ، بل ويكون للدولة الإسلامية خيار إحالة الأرض إلى من أحياها .

المساواة الإسلامية في المعاش :

إن الله العليم القدير يمنح جميع عباده نعمه وآلاءه ، و لكنه حكيم - لا يُطلع غيره على أسرار حكمه - فلم يراع المساواة في توزيع نعمه وقسمتها ، بل الله قد فضّل بعض عباده على بعض ، فهناك فروق شاسعة بين الناس في الجمال ، وحسن الصوت ، والصحة ، والقوى البدنية ، والمواهب العقلية ، والبيئات الفطرية وغيرها ، ويُرى هذا الفارق بينهم في الرزق أيضاً ، فالفطرة المصنوعة الموجدة من الله الحكيم تتطلب أن يوجد

هذا التفاوت ، و الفرق بين الناس في الرزق ، فيبسط الله لمن يشاء ، و يقدر لمن يشاء ، كما صرح : ﴿ الله يبسط الرزق * لمن يشاء ويقدر ﴾ [سورة الرعد/٢٦] ، وقال : ﴿ والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ [سورة النحل/٧١] ، و قال : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغَوا في الأرض * ولكن ينزل بقدر ما يشاء * إنه بعباده خبير بصير ﴾ [سورة الشورى/٢٨] .

إذاً يرى الإسلام إلى كل ما يحاوله الأعداء من إقامة المساواة المصطنعة المعاشية بين الناس بنظر مقت و كراهة ، فالإسلام لا يرى المساواة في الرزق وإلا لم يوجد أي فرق ، وتفاوت فيه بين عباد الله ، بل الإسلام يرى المساواة في المواقع التي تبذل فيها المجهودات لكسب الرزق ، ومحالّها ومناسباتها ، إنه يدعو إلى القضاء على سائر المعوقات والعراقيل الشائعة التقليدية ، التي تولى البعض حرية مطلقة في التصرفات ، و تسدّ على البعض سائر المنافذ والأبواب ، وتحرمه عن محاولاته المعاشية حسب كفاءاته و مواهبه ، و ينادى الإسلام بهدم الفوارق العنصرية الطبقية جمعاء ، مع أن الإسلام يريد توطيد النظام المعاشي في المجتمع ، وبحيث تكون الفرص سانحة ، والأحوال ملائمة مواتية لكل شخص .

ولذا لا يوافق الإسلام نظرة الذين يرون بإقامة المساواة الحتمية بين الناس في الوسائل و الأسباب و ثمارها جميعاً ، لأنهم يبغون تحويل اللامساواة الفطرية في المساواة الصناعية .

وليس نظام أقرب من الطبع والفطرة إلا ما يبدأ فيه كل شخص جهده حسبما استطاع ، و وفق ما خلقه عليه الله ، فيمشى صاحب السيارة على السيارة ، و صاحب القدمين على قدميه ، و يمشى الأعرج بعرجه .

و لما أن الإسلام يمتاز بميزة الاعتدال ، وجوهر الوسطية ، فلا يقصر شيئاً على أحد بحيث لم يستطع غيره أن يحوزه ، كذا لا يكره الجميع على أن لا يسلكوا إلا على منوال واحد و سلوك واحد ، فلا يقصر الإسلام المركب

على صاحب المركب مثلاً ، ولا يجعل حصول المركب ممتنعا للأعرج ، بل الطريق مفتوح لأن يبذل الأعرج جهداً في الحصول على المركب ، كذا لا يشدّ الإسلام الجميع في خيط ، أو سلك واحد ، بل قد منح الحرية لكل الناس حسب قدراتهم و كفاءاتهم ، و هذا الطريق المقتصد هو الأنفع الأصلح للعباد ، فيجب أن تنادى بالمساواة في بذل الجهود للحصول على الرزق بين الناس أجمعين ، واللامساواة في الرزق ، لأن الفرق يجب أن يبقى بين الوسائل والنتائج .

بعض الحكم والمصالح في هذه المساواة واللامساواة :

إن التفاوت بين الناس في حاجة الرزق وتوفيره ابتلاء وامتحان لهم ، فإن الغنى و الفقر كليهما يوضحان قوة الإيمان وبصيرته ويبنيان سيرة الإنسان ، هل يصبر في الفقر ، ويشكر في الرخاء ، أو يسلك في الفقر مسالك الكفر والطغيان ؟ هل الغني ينفق في سبيل ربّه ، ويؤدى حقوق الفقراء من ماله ، أو يبخل ويقتر ، أو يسرف ويجاوز الحدود ، ويصرف الأموال في غير محلها .

و لذا صرح الله جلّ وعلا في القرآن الحكيم : ﴿ إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [سورة التغابن/١٥] .

والله جلّ وعلا يولي أعداء دينه من المشركين والكفار والمبتدعين والظالمين ، نعم الدنيا ورخاء الحياة ، وفقاً لمقتضيات الربوبية ، ولغرض الابتلاء والامتحان أيضاً ، كما قال : ﴿ ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [سورة طه/١٣١] ، وقال : ﴿ فلا تُعجبك أموالهم * ولا أولادهم * إنما يُريد الله ليُعذّبهم بها في الحياة الدنيا * وتزهق أنفسهم * وهم كافرون ﴾ [سورة التوبة/٥٥] .

وإن هذه النعم التي تتوافر للمنكرين الجاحدين ربما تزيدهم كفراً بها و إباءً لها، ثم لا تتوافر النعم والملذات لهم إلا لوقت محدود سرعان ما تنتهى وتزول ، فلو بقيت حتى نهاية الحياة الدنيا فهي لا تساوي صفراً إزاء الآخرة ، ولذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" .

ثم هذه السعة الموقتة أو درور المنافع واتصال الجلب لهم ربما تلقيهم في مصائب شتى من الأمراض النفسية ، والقلق والاضطراب ، والبخل ، وخوف من انقضاء الأموال ونقصها ، والحرص والشحّ ، و المنازعات الكثيرة ، و هذا ما يجعلهم – رغم الثروات الهائلة – مضطربي العيش ضيّقي النفس ، كما قال تعالى : ﴿ ومَنْ أعرض عن ذكري * فإن له معيشةً ضنكاً ﴾ [سورة طه/١٢٣] .

بل الأصل في التوطيد المعاشي والاقتصادي أن تتحقق حاجات البشر ، و لا يضطرّوا إلى مدّ أيديهم أمام الناس ، و يعيشوا مقتنعين مطمئنين هادئين بعيدين عن العمل الحرام ، والحرص ، والطمع ، والشبهات وغيرها، وهذا ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس" [متفق عليه] .

و يتجلى من كل ما ذكرنا فيما فوق أن ينابيع الرخاء الحقيقي ، و الرفاهية الأصيلة في الحياة الدنيوية لا تنبع إلا من البرّ والصلاح والأمانة ، وإن الدنيا لا يمكن دعم بنائها و تحسينه إلا على أسّ الدين والإيمان ، مثل الآخرة ، ولكن الناس لا يطلبون الدنيا إلا بالبعد عن الدين ، والنفور عن الحق ، و إن الصعود على متن الأهواء و المادية ، قد حرمهم من المثل الدينية الروحية العليا ، ولم تكن همهم إلا زخارف الحياة الدنيا ، و متاعها القليل ، وقد تضاءلت واضمحلت قبسات الصلاح والروحانية لديهم ، مع أن المسئولية الأولى على المسلم تعود نحو الاتباع لما دعا إليه القرآن الكريم ، والسنة المطهرة في سائر شعب الحياة ومجالاتها .

إنه لمن المؤسف المبكي أن المادية الطاغية الجارفة المعاصرة قد ركزت جل عناياتها ، واهتمامها على التنعم المعاشي بدون مبالاة بالحرام ، و المحظور قطّ ، وجعلت الأمانة ، والبرّ والصدق أكبر معوق في سبيلها ، ودعّمت الخيانة ، والإثم ، والكذب ، والغدر ، والغشّ .

والواقع أن هذه العقلية المعكوسة لم ترتق سريعاً و مدهشاً حتى في

المجال المعاشي أيضا ، بل قد يشعر رجال اليوم بحرمانهم من الرخاء المطلوب الذي يمنح القلب هدوءاً ، والبال طمأنينةً ، وتورطهم في شباك الفوضويات والتحرشات .

ولا يمكن أن يقضى على هذا الوضع الأليم ، وعلى كل من كساد الأسواق والعطالة والبطالة ، والإفلاس ، والقضايا المعاشية الأخرى إلا بالتمسك بجادة التوجيهات الإسلامية المعاشية .

وإلى القارئ الكريم بمناسبة هذا الموضوع بعض أهمّ توجيهات الإسلام وضوابطه ، نحو المعاش والاقتصاد .

الأساس الأول : إن جميع وسائل معاش البشر واقتصادهم ، من صنع الله القدير ، وهو الذي أوجدها على أصول الفطرة ؛ فهي تنفع الناس في كل حين وآن ، وهو الذي وفّر لهم فرص التمتع بها ، ومنحهم خيرة التصرف فيها، وأولاهم حقّ استخدامها ، وهذا ما صرح به الله في عشرات من آيات كتابه الحكيم .

فقال : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً * فامشوا في مناكبها * وكلوا من رزقه * وإليه النشور ﴾ [سورة الملك/١٥] .

و قال : ﴿ وهو الذي مدّ الأرض * وجعل فيها رواسي * وأنهاراً * ومن كل الثمرات * وجعل فيها زوجين اثنين ﴾ [سورة الرعد/٣] .

وقال : ﴿ الله الذي خلق السماوات و الأرض * وأنزل من السماء ماءً * فأخرج به من كل الثمرات رزقاً لكم * وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره * و سخّر لكم الأنهار * و سخّر لكم الشمس والقمر دائبين * وسخّر لكم الليل و النهار * وآتاكم من كل ما سألتموه * و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [سورة إبراهيم/٣٢-٣٤] .

و قال : ﴿ أفرأيتم ؛ ما تحرثون * أأنتم تزرعونه * أم نحن الزارعون ﴾ [سورة الواقعة/٦٣-٦٤] .

و قال : ﴿ و لقد مكّناكم في الأرض * و جعلنا لكم فيها معايش ﴾ [الأعراف/١٠] .

وقال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ... ﴾ [البقرة/٢٩].

٢- التشريع بيد الله وحده :

إن الإنسان لا يستحق قطعاً أن يتحرر بنفسه تمام الحرية في استخدام وسائل المعاش واكتسابها، و لا أن يضع حدود الحرام والحلال من قِبَل نفسه ، بل التشريع و وضع حدود الحلال والحرام ليس إلا بيد الله العلي القدير ، ولما أن قوماً قديماً من العرب - أصحاب مدين - كانوا يدعون وضع الجائز والمحظور من الحدود في الكسب و الإنفاق ، فكانوا يقولون لنبيهم سيدنا شعيب عليه السّلام ، كما يصرح القرآن الكريم : ﴿ قالوا : يا شعيب ! أصلاتكَ تأمركَ أن نترك ما يعبد آباؤنا * أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ [سورة هود/٨٧] .

فذمّهم الله و أدانهم إدانة شديدة ، ثم لما لم ينتهوا عن زيفهم عاقبهم فجاءهم أمر ربهم ، و أخذتهم الصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كان لم يغنوا فيها .

والله جلّ وعلا يصف الذي يجعل الشئ حلالاً ، والآخر حراماً من قبل نفسه بالكاذب ، فقال : ﴿ ولا تقولوا : لما تصف ألسنتكم الكذب * هذا حلال * وهذا حرام ﴾ (١) [سورة النحل/١١٦] .

و إنه قد خصّ هذا الخيار لنفسه و لخليفته و رسوله صلّى الله عليه وسلّم بقوله : ﴿ يأمرهم بالمعروف * وينهاكم عن المنكر * ويحلّ لهم الطيبات * ويحرم عليهم الخبائث * و يضع عنهم إصرهم و الأغلال * التي كانت عليهم ﴾ [سورة الأعراف/١٥٧] .

[للبحث صلة]

(١) و حاصل معنى الآية على ما نصّ عليه العسكري لا تسمّوا ما لم يأتكم حلّه و لا حرمته عن الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم حلالاً ، ولا حراماً ؛ فتكونوا كاذبين على الله تعالى لأن مدار الحلّ و الحرمة ليس إلا حكمه سبحانه ، (روح المعاني -الآلوسي : ج/٧ ، ص/٢٤٨ ، طبع دار الفكر) وقال البيضاوي في معنى الآية : لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج/٣ ، ص/١٩٤ ، طبع بيروت) .

هل توقف الشعر في صدر الإسلام أم تطور ؟

[١]

بقلم : الدكتور محمد أنوار الحق الخطيبي
(أستاذ بقسم اللغة العربية ، جامعة شيتاغونغ - بنغلاديش)

من أهم القضايا الأدبية في تاريخ الأدب العربي التي شغلت الباحثين قديماً وحديثاً ، هي قضية توقف الشعر وتطوره في صدر الإسلام (١) ، فإذا تصفحنا كتبنا الأدبية وجدنا بعض المسلمات المتداولة أنها تقتضى مزيداً من البحث : وتتطلب أكثر من وقفة للتأمّل ، ومن بينها قضية الشعر في صدر الإسلام ، هل توقف الشعر فيه أم تطور ؟ ففيه اختلف رجال البحث والنقد عبر القرون ، فمنهم من يزعم أن الشعر قد توقف في صدر الإسلام وتخلّف ، ويرى بعضهم أنه تطور فيه وازدهر ، ونحن نحاول في هذا البحث أن نتوصل إلى حقيقة الأمر باستعراض جوانب من هذه القضية .

لعل أول من أثار هذه القضية ؛ هو عبد الملك بن قُريب الأصمعي [ت ٨٣١هـ] ، فقد قال : "الشعر نكد بابه الشرّ ، فإذا دخل في الخير

(١) نعنى بصدر الإسلام تلك الفترة الزمنية التي تبتدئ ببعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم عام ٦١٠م ، وتنتهي بقيام الدولة الأموية على يد الأمير معاوية بن أبي سفيان عام ٦٦١م ، وعلماً بأن صدر الإسلام مستقل عن العصر الأموي ، وذلك لاختلاف المؤثرات التي أثرت في الأدب العربي ، وعلى ذلك سار كثير من الباحثين ، ومؤرخي الأدب ، وهو ما سرنا نحن عليه في هذا البحث ، وإن كان بعض البحاثة يجعل العصرين عصراً واحداً يبتدئ من انبثاق فجر النبوة ، وينتهي باستيلاء العباسيين على الحكم عام ٧٥٠م.

ضعف ، هذا حسان بن ثابت ؛ فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره" (١) .

و روى أبو عبيد الله محمد عمران المرزباني هذا القول مع زيادة ، حيث قال : طريق إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى حسان بن ثابت علا في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وحمزة وجعفر رضي الله عنهما لان شعره ، وطريق الشعر طريق الفحول ، مثل : أمرئ القيس ، وزهير ، والنابغة من صفات الديار والرحلة والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء و وصف الخمر والخيل والافتخار ، فإذا أدخلته في الخير لان" (٢) ، وأكد أبو عبد الله محمد بن سلاّم الجمحي [ت ٨٤٦م] ، قول الأصمعي قائلاً : "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب ، وتشاغلوا بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهت العرب عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، و لا كتاب مكتوب ، و قد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير" (٣) .

وبعد ذلك أيده المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون [ت ١٤٠٦م] وتابعه فيه بعض المعاصرين إذ يقول : "انصرف العرب عن الشعر في أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة ، والوحي ، وما أدهشهم من

(١) ابن قتيبة ؛ الشعر والشعراء (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٢م) : ١/٣٠٥ .

(٢) أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ؛ الموشّح في مأخذ العلماء على الشعراء (القاهرة : جمعية نشر الكتب العربية ١٣٤٤هـ) : ص/٦٢ .

(٣) د/شوقي ضيف ؛ تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي (مصر : دار المعارف ١٩٦٣م) . ابن سلاّم الجمحي ؛ طبقات فحول الشعراء (مصر : دار المعارف) : ص/٢٢ .

أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ، ثم استقر ذلك ، و أونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وأثاب عليه ، فرجعوا إلى ديدنهم منه" (١) .

وإذا كان الذين جاءوا بعد الأصمعي من القدماء قد وقفوا من قضية الشعر في صدر الإسلام موقف الأصمعي ، حيث ردّدوا أقواله في هذا الشأن ، فإن الباحثين المعاصرين القائلين بتوقف الشعر في صدر الإسلام ، قد داروا في فلك هذه الأقوال ، فكما جعل الأصمعي حسان بن ثابت نموذجاً لحديثه عن ضعف الشعر ذي المعاني الدينية ، جعل المعاصرون حساناً نموذجاً أيضاً ، وأخذوا يرددون ما قاله الأصمعي ترديداً ، فالدكتور أحمد حسن الزيات ؛ نراه يقول عن شعر حسان في الإسلام ما نصّه : "ولكن كثيراً من شعره في هذا الطور كان خشيباً ؛ فكثر به السقط ، وقلت فيه الجزالة ، وغلبت عليه السهولة ، فرأى الأصمعي أن شعره لم يقو إلا في الشر ، فلما جاء الإسلام بالخير ضعف" (٢) .

ويقول السيد أحمد الهاشمي : "كان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة و غرابة ، فلما أسلم ، و سمع القرآن الكريم ، و وعاه و كثر ارتجاله الشعر ، لان شعره ، وسهل أسلوبه" (٣) .

وكذلك نرى عمر فروخ يردد الشئ نفسه ؛ فيقول : "حسان بن

(١) المرجع السابق : ص/٤٣ .

(٢) أحمد حسن الزيات ؛ تاريخ الأدب العربي (بيروت : دار المعرفة ، سنة ١٩٩٣م) : ص/١١٢ .

(٣) السيد أحمد الهاشمي ؛ جواهر الأدب في أدبيات ، وإنشاء لغة العرب (بيروت : مؤسسة المعارف بدون تاريخ) : ص/١٤٣ .

وكفا على أسفلهما ، فيقبل بالكف التي على الظاهر إلى ساق القدم ، ويقبل بالتي على الأسفل من العقب إلى الأصابع ؛ فيمسح ظاهره وباطنه ، قال الإمام محمد : وكيف قال هذا أهل المدينة ؛ فما نعلم أحداً يبصر شيئاً يتكلم بمثل هذا ، فذكر آثار عمر وغيره ، ثم قال : قال أهل المدينة ؛ فقد قال هذا ابن شهاب – قيل لهم : أفيأثره عن غيره أم رأى رأيه ، قالوا : لا نعلم إنه أثره عن أحد ، قيل لهم : قد أخبرنا فقيهكم مالك بن أنس عن هشام بن عروة ، أنه رأى أباه يمسح على الخفين ، قال : وكان يمسح على ظاهرهما ، ولا يمسح على باطنهما ، قال : فينزع الحمامة ؛ فيمسح برأسه ، فهذا قول عروة بن الزبير – وهو كان أفقه واعلم بالرواية ، والسنة من ابن شهاب ، فكيف ترك هذا مالك بن أنس وغيره ، و هم الذين رووه (٣٥) ، يرى أبو حنيفة : أن المسافر إذا نوى الإقامة بمصر خمسة عشر يوماً أو أكثر أتم الصلاة ، وإن أجمع على أقل من ذلك قصر ، ويرى أهل المدينة : إذا نوى أربعة أيام أتم ، و يقصر في أقل من ذلك ، يقول الإمام محمد : كيف أخذتم بالأربع ، قالوا : بلغنا ذلك عن سعيد بن المسيب ، وقالوا : رواه مالك عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب – قيل لهم : فقد أخبرنا بذلك مالك – فقد أخذتم علمكم هذا في هذه الأربع عن رجل من أهل خراسان ، ولم يبلغ أحداً منكم يأثره عن سعيد بن المسيب ، إن هذا لمن العجب ، إنكم ترغبون فيما تزعمون عن رواية أهل الكوفة ، ولا تأخذون بها ، و تروون عمن يأخذ من أهل الكوفة ، كيف لم تسمعوا بهذا الحديث ، وهو في ما تزعمون فقيهكم سعيد بن المسيب ؛ حتى تروونه عن عطاء الخراساني ، أما إني لم أرد بذلك عيب عطاء الخراساني ، وإن كان عندنا لثقة ، ولكنا أردنا أن نبصركم عيب قولكم ، وقلة معرفتكم بقول فقيهكم ،

وهذا لا ينبغي أن تجهلوه من قول أصحابكم ، و هو مما يبتلي به الناس كثيرا في أسفارهم ، وليس هذا من الغامض الذي تعذرون بجهله من قول أصحابكم مع أنكم قد خالفتم في ذلك علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وسعيد بن جبير وغيرهم ، ثم سرد الآثار عنهم و عن غيرهم (٣٦) ، يرى أبو حنيفة : أن القهقهة في الصلاة حدث ينقض الوضوء ، لما جاء في ذلك من الحديث والآثار ، ويرى أهل المدينة : إنها بمنزلة الكلام تنقض الصلاة ، ولا يعاد منها الوضوء ، يقول الإمام محمد : لو لا ما جاء من الآثار كان القياس على ما قال أهل المدينة – ولكن لا قياس مع أثر – وليس ينبغي إلا أن ينقاد للآثار ، ثم سرد الآثار (٣٧) .

قد ذكر الإمام محمد الأمور التي جمع أهل المدينة بينها وبين نقيضها، حيث قال : ما أعجب قول أهل المدينة يزعمون أنه لا يجوز نكاح الصغار إلا أن ينكح الآباء ، و ينبغي للسلطان أن يفسخ ذلك – و هم يقولون : إن كبر الغلام ؛ فلم يجز ذلك كان فرقتهما طلاقاً، وكيف يكون طلاقاً ، إن ماتا لم يتوارثا ؟ فينبغي لمن قال هذا أن يزعم أن فرقتهما ليست بطلاق ، لأنه يفارق غير امرأته ، وكيف يقع الطلاق على غير زوجته ؟ إنما جعل الله الطلاق على الزوجة ، فأما أن يقول قائل : إنها ليست له بزوجة ؛ وفرقتهما طلاق ، وهذا مما لا ينبغي أن يسقط على أحد يبصر من العلم شيئاً ، وقد جاء في ذلك آثار كثيرة في إجازة نكاح الأولياء للصغار (٣٨) .

إن الإمام محمد بن الحسن ، و إن رفض عمل أهل المدينة في كثير من المواضع ، ولكنه رجح عملهم في بعض المواضع على رأى أبي حنيفة ، قال أبو حنيفة في يوم الحج : إذا وافق يوم الجمعة ، يوم عرفة ، أو يوم النحر ، أو بعض أيام التشريق إنه لا جمعة في شئ من تلك الأيام إلا بمنى ،

المجلد السابع والأربعون

المجلد ٤٧

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

العدد الثالث | مجلة إسلامية شهرية جامعة | ذو القعدة ١٤٢٢ هـ

في هذا العدد

التقريب و دورة التقعقود
نظرة على ماهية الباري تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة
الأصنام البديلة .. إلى متى ؟!!
الدين الذي يرفض الإرهاب بجميع أشكاله ،
وينشر رسالة الأمن والسلام ، إنما هو الإسلام !
هل من سبيل إلى توحيد تقويم المسلمين ؟
دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية
ماذا تعني : ظاهرة الكسوف ؟!
التعليم الديني العالي في النساء قبل الاستقلال
المذهب الحنفي والتحديات المعاصرة
دور عمل أهل المدينة في الفقه المالكي
أصول المعاش الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة
هل توقف الشعر في صدر الإسلام أم تطور ؟
أمريكا و الإرهاب

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

Tel : 787250, 788166
Fax : 0522-787310

MAJALLAH
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-2) Dec. 2001 (Monthly)
RNI No.(U.P. ARA/2000/2341
Regd. No.LW-NP/64/2001

صدر حديثاً:

المنثورات

في عيون المسائل المهمات

المعروفة

بفتاوى الإمام النووي

ترتيب ابن العطار

تحقيق ودراسة

محمد رحمت الله حافظ محمد ناظم الندوي

مراجعة وإشراف

الشيخ محمد محيي الدين الأصفر

رئيس قسم الدراسات الشرعية والقانونية في صندوق الزكاة
دولة قطر

الكتب الإسلامي
بيروت

دار الاشراق
الدوحة

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parakh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P.

٨٨٢١
١٤١٩٥٥

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد الثالث
ذو القعدة ١٤٢٢هـ
يناير ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار الى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله ولي التوفيق والهداية والسداد

الاشتراكات السنوية
في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولارا بالبريد العادي
و
٤٠/دولارا بالبريد الجوي

☆☆☆

المراسلات
ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى)

★ الغرب : ودوره المفقود ٣

الافتتاحية

★ الدين الذي يرفض الإرهاب بجميع أشكاله ، وينشر رسالة الأمن والسلام ، إنما هو الإسلام ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي

★ نظرة على ماهية الباري تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي ٩
★ الأصنام البديلة .. إلى متى ؟!! د/عبد الحليم عويس ١٦
★ هل من سبيل إلى توحيد تقويم المسلمين ؟ د/محمد السيد علي بلاسي ١٨

الدعوة الإسلامية

★ دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٢٨
★ ماذا تعني : ظاهرة الكسوف ؟! د/محمد بن سعد الشويعر ٣٤
★ التعليم الديني العالي في النساء قبل الاستقلال (في الهند) د/نسيم أختر الندوي ٣٩

الفقه الإسلامي

★ المذهب الحنفي والتحديات المعاصرة الأستاذ محمد فهيم أختر الندوي ٤٧
★ دور عمل أهل المدينة في الفقه المالكي د/أ.ق.م. عبد القادر ٥٥
★ أصول المعاش الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي ٦٢

دراسات وأبحاث

★ هل توقف الشعر العربي في صدر الإسلام أم تطور ؟ د/محمد أنوار الحق الخطيبي ٦٩
★ يحيى بن سعيد الأموي (ت/١٩٤هـ) ، وكتابه : "المغازي" د/جمشيد أحمد الندوي ٧٧

عروض وتقارير

★ أمريكا و الإرهاب الأستاذ السيد واضح رشيد الندوي ٨٨

بأقلام الشباب

★ واجب الشباب في الظروف الراهنة الأخ نياز أحمد عبد الحميد الطيب فوري ٩٣

إصدارات جديدة

★ ١- مجموعة القوانين الإسلامية التحرير ٩٥
★ ٢- إصدارات الإكاديمية الفرقانية في مدينة بنغلور (الهند) " " " ٩٦
★ ٣- الزلازل ، دروس وعبر " " " ٩٦
★ مكتب رابطة الأدب الإسلامي الرئيسي لشبه القارة الهندية يزمع عقد ندوة علمية " " " ٩٦

إلى رحمة الله تعالى

★ ١- الأستاذ محمد أيوب الهاشمي الندوي في ذمة الله تعالى التحرير ٩٨
★ ٢- الأستاذ عبد المجيب سهالوي الندوي في ذمة الله تعالى " " " ٩٨
★ ٣- والدة الشيخ عبد العزيز الندوي البهتكلي في ذمة الله تعالى " " " ٩٩
★ ٤- حرم فضيلة الشيخ محمد عبد الله المغيثي في ذمة الله تعالى " " " ٩٩
★ ٥- رحيل زوجة الأخ عبد الله علاء الدين الندوي إلى رحمة الله تعالى " " " ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرب : و دوره المفقود

إن هذا الغرب يخيم عليه منذ زمن طويل الجمود ، إنه يخلو من تلك الشخصيات العبقرية التي يفتقر إليها لقيادة الحضارة الإنسانية ، والمجتمع الإنساني الجديد ، وتحويل وجهة العالم والتكنولوجيا ، من الهدم والتدمير إلى البناء والتعمير ، وإيجاد القوة الخلقية التي تضبط النفس ، وتلجم الشهوة لحماية المجتمع من الفوضى والفساد ، وتوحيد القوى المتصارعة والكتل المتناحرة ، إنه يخلو من دور الأبطال ، وشجاعة الرسل والأنبياء ، التي هو أحوج إليها من كل يوم مضى ، لقد قال أحد العلماء المختصين في في العلوم الغربية ، والذي طالت إقامته في الغرب قبل أكثر من نصف قرن ، الدكتور محمد إقبال عن الحضارة الغربية ، والبيئة الغربية :

"إن نور الحضارة باهر وشعلة حياتها ملتهبة وهاجة ، ولكن ليس في ربوعها من يمثل دور موسى ، فيتلقى الهداية و الإلهام ، و يبدد باليد البيضاء الظلام ، ولا من يمثل دور إبراهيم عليه السلام ، فيحطم الأصنام ، ويحول النار الى برد وسلام ، إن عقلها الجريئ يغير على ثروة الحب ، وينمو على حساب العاطفة ، إن عماليقها و ثوارها قد طغى عليهم التقليد ، فلا يخرجون - حتى في ابتكارهم وثورتهم - عن الطريق المرسوم ، و الدائرة المحدودة" .

سماحة العلامة الشيخ السيد
أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

الافتتاحية:

الدين الذي يرفض الإرهاب بجميع أشكاله وينشر رسالة الأمن والسلام، إنما هو الإسلام!

الدعوة

الإسلامية عاشت محناً شديدةً في العقود المنصرمة في مهدها و موطنها ، فكان ذلك سبباً لوجود صحوة إسلامية عمت جميع أنحاء العالم ، وأثرت في المجتمعات التي كانت تعيش اليأس من مستقبلها ، وتتأكد أن جميع أبواب الأمل موصدة في وجهها ، وذلك بعد ما أجرت تجارب عملية واقعية في الأنظمة ، والحضارات المادية التي لم تتمكن من توفير نعمة السعادة والهدوء النفسي إلى أفرادها رغم جميع التطورات الهائلة في مجال العلوم والصناعات التي أحرزها الإنسان الحديث .

و بتأثير هذه الصحوة المباركة تزايد الإقبال على الإسلام دعوةً ومنهجاً ونظاماً ، في أقطار العالم ، ولا سيما في الغرب الذي اكتوى أهله بنار الحضارة الغربية ، وآثارها السيئة على الحياة ، فأثمرت المجهودات التي بُذلت في سبيل الدعوة الإسلامية في الغرب ، ثماراً يانعةً جنيةً ، و أجدَّ الناس هناك في دراسة الإسلام ، و التعرف على منهجه و حضارته ، وبالتالي قرروا الاعتناق بالإسلام ، وتجربته عملياً في المجالات الحيوية ، وفعلاً تبين لهم أن الإسلام ، إنما هو سفينة إنقاذ من ذلك الشقاء الذي لزمهم إلى مدة طويلة ،

وذاقوا مرارته حقبة من الزمان ، ومن ثم جاءت وفودهم تترى ، وتسأل عن كيفية دخول المرء في الإسلام ، ومنذ ذلك الوقت إلى الآن يسارع اليائسون من مستقبلهم ، والذين سئموا الحياة المادية الرتيبة العفنة ، إلى صفوف الواقفين المنتظرين لنوبتهم في دخول الإسلام ، ذلك العمل الإسلامي الذي هو مستمر بغاية من الجدية و الاقتناع في الغرب كله شرقاً وغرباً ، وفي جميع أنحاء العالم المادي الذي عاش الشقاء الحضاري على أيدي قادة الغرب والشرق جميعاً إلى مدة طويلة .

ولما تجاوز هذا التوجه العظيم إلى الإسلام ، الرقم القياسي ، وعمرت البلدان الغربية والشرقية كلها بالمساجد ، وبدأت الكنائس تتحول إلى المقدسات الإسلامية ، و قامت فيها مراكز و مدارس وجامعات إسلامية ، و تكونت فيها جاليات إسلامية تتضمن المسلمين الجدد ، هنالك وقع المحذور ، و خاف قادة الغرب ، و زعماء الفلسفات الحضارية على مستقبلهم ، ورأوا أن زمام القيادة العالمية في السياسة و الاقتصاد سينفلت من أيديهم ، و ينتقل إلى الجاليات الإسلامية في بلدانهم في مستقبل قريب بالنظر إلى سير الاهتداء إلى الإسلام ، وتزايد عدد الداخلين فيه بسرعة كبيرة .

وانطلاقاً من هذا الخوف الذي أدهش قادة الغرب ، وأثار في نفوسهم يأساً من مستقبلهم بذلوا محاولات جادة في سدّ هذا السيل ، وظلوا يترقبون النتائج في حسر المد الإسلامي ، والرجوع بالمهتدين إلى تمثيل إسلام متنور بعيد عن كل عاطفة ويقين ، ولا يكون إلا كموضة بين معتنقي الديانات و الأنظمة والفلسفات ، وجل الغرض من ذلك لم يكن إلا وضع الإسلام في قائمة الإحصائيات الدينية ، وإثبات أن الديموقراطية هي أساس كل عمل ونشاط في الغرب ، وكل شخص فيه يتمتع بالحرية السياسية والدينية ، على السواء .

إلا أن العقيدة الإسلامية اختلطت بلحوم و دماء هؤلآء المهتدين إلى الإسلام ، فكان إسلامهم مثالاً كاملاً للمسلم ، وقامت حياتهم على العاطفة الإيمانية المعتدلة القويمة دون تنازل عن ذرة واحدة من الواجبات الدينية التي لا تكتمل الحضارة الإسلامية بدونها ، وتلك هي النقطة التي كانت ركيزة لمؤامرة خطيرة واسعة الآفاق والأطراف بعيدة المدى ، ضد الإسلام ، ولكن بحكمة دقيقة بحيث لا يدور في خلد أحد من الناس أن الغاية المتوخاة من ورائها ليست إلا اقتلاع جذور الإسلام ، وقد اخترعوا لذلك مصطلحاً خاصاً بالمسلمين ، وهو مصطلح "الإرهابية" ، وتحقيقاً للنوايا السيئة كان لابد من إيجاد دليل على تنفيذ الإجراءات القمعية على أوسع نطاق وأبعد مدى ، وقد شهد العالم كله ما قد حدث أخيراً في بعض العواصم الغربية من سيناريو القيامة الذي أذهل وأدهش العالم بأسره ، وكان كما قال الله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ * عَمَّا أَرْضَعَتْ * وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا * وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى * وَمَا هُمْ بِسُكَارَى * وَلَكِنَّ عذاب الله شديد ﴾ .

وقد ارتفعت حسب المقرر أصابع الاتهام إلى جماعة من المسلمين الملتزمين ، ورئيسها المؤمن ، الذي تؤويه حكومة يتولاها المسلمون على المنهج الإسلامي الخالص الذي ينبع من الشريعة الإسلامية ، و من غير تحقيق للواقع ، وبدون توفير حجج قاطعة لمن تولى ذلك ، وبناءً على الظن والتخمين فحسبُ ، وبصرف النظر عن المجرمين الحقيقيين ، أُحدث مبرر ، من غير هوادة أو تروٍّ لجمع كلمة الدول في العالم كله على مقاومة الإرهابية ، واقتلاعها من كل مكان ، واستخدام جميع الأساليب العسكرية ، والغزو الإرهابي ضد دولة مسلمة أهلها مسلمون راسخو العقيدة ، ويركزون على تنفيذ الشريعة الإلهية في المجتمع ، وتطبيقها على الحياة بإخلاص كامل .

وتجرى الآن ومنذ نحو أربعة أسابيع إجراءات قمعية على أوسع ما يتصور من نطاق ، بالقذائف و إطلاق الصواريخ و القنابل المدمرة السامة ، والأساطيل الجوية و البحرية ضد الشعب الأفغاني ، وحكومة "طالبان" التي تأبى إلا أن تطبق الشريعة الإسلامية على المستوى العالمي ، وتستغني عن الحكومات الجائرة الظالمة كل الاستغناء ، حتى يعم الأمن والاستقرار والرخاء ، و تذهب من قلوب الناس مخاوف الحروب والظلم ، ويعيش العالم تحت ظل الإسلام الذي هو العلاج الوحيد لكل ما يعانيه الإنسان اليوم من محن وظلم ، وتطرف على المستوى العالمي ، ولكن الغرض الوحيد الذي تتوخاه الولايات المتحدة الأمريكية من خلال هذه العمليات القصفية والنسفية ، إنما هو القضاء على الإسلام والمسلمين ، و وضع السد العالي على سبيل الاهتداء إلى الإسلام ، وعلى ارتفاع نسبة المهتدين في الغرب ، والعالم كله ، وذلك هو الحافز الكبير الذي جعل الرئيس الأمريكي يصف هذه الهجمات الشرسة التي توجه اليوم إلى أفغانستان شعباً وحكومةً ، بالحروب الصليبية التي يخوضها .

و لعلها تستمر إلى مدى أطول ، و لن تتوقف إلا بعد إزاحة "طالبان" من ساحة الحكم ، ذلك لأن الغاية التي يتوخاها المهاجمون لا تتحقق بدون ذلك ، وإن توقيف الهجمات والقذائف لا يعني إلا الهزيمة ، والتراجع عن الموقف الذي أجمعت عليه الدول الغربية ، وكل من له صلة بالواقع ، ونظرة فاحصة على الأحداث تؤكد أن الهدف المنشود من وراء هذه العمليات الإجرامية ليس إلا محاربة الإسلام ، وفرض الهيمنة الكاملة على ديار المسلمين ، وإخضاعهم للإرادة الأمريكية .

يحلو لي في هذه المناسبة أن أنقل إلى حضرات القراء الكرام مقتطفاً من كلام فضيلة الأستاذ مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين ، الذي نشرته صحيفة "رسالة الإخوان" في عددها (٢٥١)، ٩/رجب ١٤٢٢هـ

٢٠٠١/٩/٢٨م ؛ يقول :

.. جاءت الهجمة الصليبية الجديدة في شكل استعماري بشع ، فاقتسمت ديار المسلمين ، و سعت لترسيخ جذورها في أرضهم ، واستخدمت شتى أشكال الاستعمار الثقافي والاقتصادي والعسكري ، لمحو المعتقد ، وتبديل الفكر ، وزرع التبعية ، فماذا كانت النتيجة ؟

لقد رفض العرب والمسلمون الاستسلام ، ولم يقبلوا الدنيّة في الدين والكرامة ، أو العرض أو الأرض ، و اعتمدوا سلاح المواجهة لطرد العدو ، وردع العدوان ، واستعادة الاستقلال في الإرادة والقرار ، والعيش في ظلال إسلامهم ، وإطار حضارتهم مبشرين بالحرية ، والأمن ، حقاً لكل الناس ، والعدل ، والمساواة دون تمييز بين الأجناس أو المعتقدات .. .

إن التاريخ الإنساني خير شاهد لما كان للإسلام من أدوار بارزة مشكورة في نشر الأمن والسلام ، والحب والوئام ، وجميع القيم الخلقية ، والمثل العليا في المجتمعات البشرية من غير تفريق بين المسلم وغيره ، ولا يخفى على العالم مواقف الإسلام من التسامح والمرونة تجاه البشرية كلها ، دون أن يكون هناك منفذ لما يسمى بالإرهابية ، ولأجل ذلك فإن اللعبة السياسية التي تلعب بها الحكومة الأمريكية باسم القضاء على الإرهاب ، ليست إلا لتضليل العالم ، وذر الرماد في عيون الناس ، إذ يعلم الجميع أن الإسلام و المسلمين هما الهدف الأصيل من وراء هذه الهجمات المتتابعة على أرض يسعى أهلها لتطبيق شريعة الله على الحياة و المجتمع ، وإعلاء كلمة الله في أرضه .

﴿ وَمَا نَقَمُوْا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللهِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ * الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْئٍ شَهِيْدٌ ﴾ .

سعيد الاعظمي
١٨/شعبان ١٤٢٢هـ

التوجيه الإسلامي :

نظرة على ماهية البارئ تعالى

في ضوء النظريات القديمة والحديثة

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
الأمين العام للإكاديمية الفرقانية ، بنغلور - الهند
(تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

جرأة المتكلمين : عند ما ثبت من وجهة الرؤية والمشاهدة أن أشياء الكون المركبة حادثة وفانية ، أوجد الفلاسفة والمتكلمون معتمدين على علمهم عقيدة : أن الله تبارك وتعالى "بسيط" ، و ليس "بمركب" من أجل صيانته سبحانه وتعالى من "التجزئة والتحليل" يعني أن الله تبارك وتعالى عنصر مفرد أو شئ دون ذلك رتبةً - نعوذ بالله من ذلك - و لم يتأمل أحد حتى الآن في عواقب هذه الرؤية الباطلة المهملة التي هي صورة من صور الشرك ، - وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في الصفحات الآتية - .

ولكن هناك حقيقة طريفة ، وهي أنه قد ثبت في القرن العشرين أن "البسائط" أي العناصر المفردة قابلة للفناء والزوال ، لأنها لا تزال تفقد "جسمانيتها" بسبب الموجات الإشعاعية ، وتظهر آثار ذلك في يورانيم (الرقم النووي/٨٨) ، و في العناصر التي فوقه من : اكتينيم (الرقم النووي/٨٩) ، تهوريم (الرقم النووي/٩٠) ، برونيتهيم (الرقم النووي/٩١) ، ويورانيم (الرقم النووي/٩٢) واضحةً جليةً ، فتنبعث من ذرات هذه العناصر ثلاثة أنواع للأشعة التي تعرف بـ "شعاع ألفا" ، و "شعاع بيتا" ، و "شعاع غاما" ، و تسمى هذه العناصر ذات النشاط الإشعاعي بـ (Radio active Elements) التي لا تزال تفقد أجسامها باستمرار ، و لكن علماء الطبيعة لم يتمكنوا حتى الآن من الوصول إلى معرفة أسباب هذه "الإشعاعية" في العناصر .

No one really knows, why some elements are radioactive that is. Why they under go neclear decay. (1)

فبهذا الاعتبار قد أصبح من الحقائق الثابتة أن "المادة" تفقد "ماديتها" في صفة مستمرة ، وليس هناك أحد يعرف أو يخبر بأن ما هي الحقائق التي تبرز وتظهر في المستقبل بهذا الخصوص ؟ فلأجل ذلك لا يخلو هذا القول بأن الله خالق الكون "بسيط" من الخطر أيضاً ، وفي ضمن ذلك تبطل أيضاً نظرية فلسفية قديمة ، تقول بأن مادة عالمنا "قديمة" لا تفنى ، بل يثبت من ذلك أن المادة نفسها تزول وتفنى بصورة مستمرة أيضاً ، فإن الأشعة المنبعثة من العناصر أو الموجات الإشعاعية تزول وتغيب في الأجواء الواسعة بعد وصولها إليها .

وعلاوة على ذلك قد ثبتت هذه الحقيقة اليوم من الناحية العلمية أنه قد أصبح من الممكن ؛ تحويل "المادة" بكاملها إلى "الطاقة" ، والطاقة إلى المادة ، فمن هذه الناحية أيضاً العناصر المفردة التي هي مجموعة لعدة ذرات كهربائية ، فانية ، يقول عالم طبيعي ماهر بارز : إن عالمنا المرئي والملموس ليس بمادة ، و لا روح (أو قوة) ، بل هو نظام غير مرئي للقوة والطاقة .

The visible world is neither matter nor spirit, but invisible organization of energy. (2)

Matter can be changed into energy and energy into matter. (3)

فقد ثبت من الناحية الفلسفية أن القول بأن "ربّ العالمين بسيط" عمل مهمل بل مضحك ، وهو من قبيل "الإدعاء الكاذب" أي الجرأة على التكلم بما لا يطيقه .

فينشأ من هنالك سؤال ؛ ما هو الحل لهذه المعضلة المعقدة العويصة ؟ لأنه من الصعب أن يقال : إن خالق الأرض و السماء مركب ، كما يصعب أن نقول بأنه سبحانه وتعالى بسيط ، فليس هناك حلّ لهذه المعضلة العويصة إلا أن نسلّم أن الله تبارك وتعالى لا يتركب من مادة عالمنا الفانية ، بل هو مركب من مادة أعظم وأقوى تخلو من أسباب الفناء والزوال ، ونتجنب

إصدار "فتاوى" غير مشروعة بشأنه عز وجل قياسا على العالم المادي ، و إلا فلا تنحل المسائل التي تتعلق بالذات الإلهية و صفاتها ، فالاكتشافات العلمية الجديدة تدل على أنه يوجد في عالمنا المعلوم عدة أنواع للمادة تختلف تمام الاختلاف عن المادة التي تتشكل منها أجسامنا ، والتي خلقها خالق الكون عبرة وبصيرة لنا" – وذكر ذلك سيأتي مفصلاً في الصفحات القادمة – .

على كل ؛ ففي هذه الصورة يمكن أن يصدق معنى "ليس كمثله شئ" على المادة ، يعني أنه سبحانه وتعالى يشتمل كذلك على مادة ليست كمادتنا ، هذا القول لا يستحيل من ناحية العقل أيضاً ، وإلا فيكون رب العالمين "ليس بشئ" – والعياذ بالله من ذلك – .

المعتزلة وفتنة خلق القرآن الكريم :

إن المعتزلة كانوا يسمون نفي صفات الذات الإلهية "التوحيد" و التكذيب بالقدر "العدل" ، يقول بهذا الخصوص شيخ الإسلام ابن تيمية : فالمعتزلة ومن اتبعهم من الشيعة ، يقولون : إن أصلهم المتضمن نفي الصفات والتكذيب بالقدر ، الذي يسمونه التوحيد والعدل (٤) .

إن المعتزلة (والجهمية) كانوا ينكرون صفات الباري تعالى (من العلم ، والإرادة ، والقدرة ، و الكلام ، والسمع ، والبصر ، وما إلى ذلك) على أساس أنه يثبت من إقرارهم "بجسيم" صانع العالم ، وعندما تثبت جسمانيته فلا تنحل قضية حدوث العالم ، لأن الدليل الذي ينصّ على أن العالم حادث ؛ هو أنه "متغير" (يعني أنه لا يبقى على حالة واحدة ، بل أحوالها لا تزال تتغير) ، وإن كل شئ يتغير فان ، فبناءاً على ذلك لو اعتبرنا الله تعالى ذا جسم يلزم منه أنه حادث وقابل للفناء ، لأجل ذلك فإن الله سبحانه ليس بجسم .

ويستنتجون من ذلك نتيجة أخرى ، و هي إذا ثبت أنه ليس من الممكن أن يكون جسماً ، فلا يكون أيضاً "متكلماً" لأن الكلام خاصة

لـ "الجسمانية" ؛ فبناءا على ما يقولون : إن القرآن الكريم ليس بكلام الله أو قديم (كالذات الإلهية) ، بل هو مخلوق أو حادث ، أي كما خلقت مخلوقات أخرى كذلك خلق القرآن أيضاً ، وإذا لم نعترف بكون القرآن حادثاً أو مخلوقاً لزم منه تشبيه الله سبحانه مطابقاً لقوله : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ وتجسيمه ، وهذا لب لباب فكرة المعتزلة .

"وغاية شبهتهم أنهم يقولون : يلزم منه التشبيه والتجسيم" (٥) .

و هذا ، كما يبدو ، منطق معكوس اختاره المعتزلة و متبعوهم ، لأن بدون إقرار جسمانية صانع العالم أو خالق الأرض والسماء لا تنحل مسألة ظهور الكون ، ولذلك لابد لظهور الكون أو تخليق الأرض و السماء من ذات فعالة قادرة لها قدرة تامة ، وليس من الممكن تصور مثل هذه الذات بدون الجسم ، و إلا يلزم منه أن الكون قديم ؛ أي هو موجود بدون خالق (٦).

ونفاة الصفات (المعتزلة والجهمية) كانوا يرون أن إثبات الصفات يستلزم تجسيم الذات الإلهية لأن من يكون متصفاً بالصفات يكون بالضرورة جسماً : هذا يستلزم التجسيم والتشبيه ، لأنه لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم ، بينما كان موقف القائلين بإثبات الصفات عكس ذلك ، وهو ليس من الممكن تصور الحياة ، و العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر، والكلام ، والإرادة إلا بالجسم : "لا يعقل ماله حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام وإرادة إلا ما هو جسم" (٧) .

و كذلك كان للمعتزلة عقيدة فاسدة غير معقولة ، و هي أن الله سبحانه وتعالى لا يرى بالأبصار ، بينما توجد في الكتاب والسنة نصوص واضحة تدل دلالة قوية على إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وكذلك كانوا ينكرون رؤيته عزوجل بالقلوب أيضاً ، فيقولون : إنما يمكن علمه بالقلوب "أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار، واختلفت هل يرى بالقلوب ؟ فقال أبو الهذيل و أكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا ، بمعنى أنا

نعلمه بقلوبنا" (٨) .

وكان موقف المعتزلة تجاه نفي الصفات أنه إذا اعتبرنا صفات الله قديمةً شاركته عزوجل في الألوهية ، يعني يلزم منه أن نعتبر كل صفة من هذه الصفات إلهاً على حدة "لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية" (٩) .

وبناءاً على ذلك تجرأوا على القول بأن كلام الله سبحانه وتعالى ليس قديماً ، بل هو محدث مخلوق ، "واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل" (١٠) .

وتقول طائفة من المعتزلة : أن كلام الله جسم ومخلوق" ، بينما تقول طائفة أخرى منهم : "إن القرآن مخلوق لله وهو عرض" (١١) .

فعلى كل ، إن المعتزلة كانوا لا يعتبرون الكتاب والسنة حجة نهائية ، بل يقدمون العقل عليهما : "فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل ، فما قبله أقروه ، وما لم يقبله رفضوه" (١٢) .

قصة دامية :

هذه خلفية قصة وقعت فيها فتنة "خلق القرآن" بشكل مهيب مرعب في أوائل القرن الثالث الهجري الذي بلغ فيه المعتزلة أوج الكمال والرقي والازدهار ، فقاموا أولاً باستمالة الخليفة العباسي المأمون ، و كسب تضامنه ومناصرته من أجل فرض عقيدتهم المصطنعة على الأمة كلها تحت رعاية الحكومة حينذاك ، ثم أعلنوا عن تنفيذها بقوة في عام ٢١٨هـ الذي توفي فيه المأمون ، وأجبروا العلماء على الإيمان بهذه العقيدة باستدعائهم إلى القصر (١٣) ، وضربوا من أنكر ورفض ذلك بالسوط ، وعاقبوه عقاباً شديداً ، ونكلوا به أشد تنكيل تقشعر له الجلود ، وترتعد الأعصاب لهوله ، وقد أصبحت هذه الكارثة المأساوية باباً أسود للتاريخ ، ولو لم يقم الإمام أحمد بن حنبل بطل هذه الأمة العظيم في وجه هذه الكارثة بعزيمته و استقامته

منعدمة النظير لقضى على عقائد الإسلام الحقة في وقت مبكر، فصار ذكر هذا البطل العظيم خالداً مخلداً ما دامت الدنيا .

تطورات أفكار المعتزلة والمتكلمين :

كانت هذه الفتن هي التي أثارها المعتزلة الذين تجرى الفلسفة اليونانية ، منهم مجرى الدم ، و أشربوا في قلوبهم حبّها ، و كانوا ينظرون لا إلى تعاليم الإسلام فقط ، بل إلى عقائد الإسلام الأساسية أيضاً بمنظار الفلسفة ، ويرفضون كل ما لا يقبله العقل أو الفلسفة ، و يعارضهما ، بغاية من الوقاحة والتمرد ، فكان هناك نظرية "تنزيه الذات" للفلاسفة والمتكلمين في جانب ، و في جانب آخر عقيدة "وحدة الوجود" لدى الصوفية ، يعني لا موجود إلا الله ، (كل شئ في الكون شكل من أشكال الله) فدوت أصوات هاتين النظريتين ونالتا رواجاً هائلاً أدى إلى تشويه حقيقة الذات الإلهية وتوحيدها ، وحدثت في الدين معتقدات كاذبة مزخرفة مصطنعة ، ورؤى باطلة لم تكن بالحسبان ، فجعل يبدى كل شخص عن رائه في الدين ، ويقول بما توحي إليه نفسه ، وظهرت فرق كثيرة متنوعة حسب تنوع الأقاويل التي قالها الناس ، كما يدل على ذلك كتاب : "الملل والنحل" للشهرستاني .

بما أن كاتب هذه السطور يريد بهذه المناسبة إبطال أقوال وآراء متكلمي الإسلام ، وكشف القناع عن خرافة نظرياتهم تجاه إثبات "إن الله بسيط" فلابد له أن يقوم باستعراض آراء و نظريات جميع فرق الأمة ، نحو : "إن الله جسم ؛ أم لا ؟"، وتهدف هذه الدراسة إلى إثبات أنه يجب الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة بشأن الذات الإلهية وصفاتها بدون أي سؤال عن الكيف ، وبدون أي تعليق وتأويل ، وإلاّ فيتعرض إيماننا للخطر ، ولا نتخلص وننجو من الخلافات والنزاعات والفسادات ، ولأن علمنا ناقص للغاية بالنسبة لعلم الله سبحانه وتعالى ، وتبرز وتظهر دراسات

وبحوث جديدة يوماً بعد يوم بخصوص الكون ، وأن الرؤي و وجهات النظر القديمة تفقد قيمتها وأهميتها ، ولا تجدى نفعاً على مرّ الأيام ، فبهذا الاعتبار قد أصبح كثير من وجهات نظر المعتزلة ، و أهل الكلام القدامى قديمة ، ولا يساير العصر المعاصر .

[للحديث بقية]

في الحلقة الأولى وقع خطأ مطبعي في ص/٢٣ ، س/١٠ ، نرجو التصويب ، وهو (٩٣/نوعاً من العناصر الطبيعية) والصواب (٩٢/نوعاً ...)

المراجع والحواشي :

(١) Basic concepts of chemistre, P.435.

(٢) The Cosmie code, Hienz R. Pagel, P.12. Penguin Books. 1984

(٣) World Book Encyclopaedia, Vol.13. P.263,1995

(٤) موافقة صحيح المنقول الصريح المعقول : ١٢٧/١، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م .

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ؛ العلامة صدر الدين الحنفي ، تحقيق أحمد شاكر : ص/١٠٦ ، دار التراث القاهرة .

(٦) هذا الدليل مأخوذ من كتاب : "موافقة صحيح المنقول" ؛ للعلامة ابن تيمية .

(٧) موافقة صحيح المنقول : ١٠٩/١ .

(٨) مقالات الإسلاميين ؛ أبو الحسن الأشعري : ٢٣٨/١ ، المكتبة العصرية .

(٩) الملل والنحل ؛ للشهرستاني : ٤٤/١ ، دار المعرفة بيروت ١٩٧٥م .

(١٠) أيضاً : ٤٥/١ .

(١١) مقالات الإسلاميين : ٢٦٧/١-٢٦٨ .

(١٢-١٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ؛ أبو زهرة : ص/١٢٩ ، دار الفكر العربي القاهرة ، سنة ١٩٩٦ .

الأصنام البديلة .. إلى متى ؟!!

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس
(مفكر إسلامي - مصر)

مع نهاية عصر الاحتلال العسكري لبلاد الأمة الإسلامية ظن كثير من المسلمين أن المستقبل – في البلاد الإسلامية على الأقل – للإسلام ، وأن الاستدمار الصليبي الذي كان يحمل –زوراً– كلمة استعمار قد فقد القدرة على القيادة ، وأن أهدافه في تضليل الأمة عن طريقها الحضاري وعودتها لذاتها قد باءت بالفشل ، و أن الأمة قد أصبحت مالكة لإرادتها قادرة على استلهام عقيدتها ، وتاريخها ، وتراثها ، وعبور المأزق الحضاري ، وصناعة مستقبل مشرق ، مثلما فعل اليابانيون واليهود الذين لم يشغلوا أنفسهم بهدم عقائدهم ، وتمزيق صفوفهم بين متمسكين بالماضي وخائنين له ، ومتمسكين بالدين ومحرفين له ، ومصرين على اللغة ومفرطين فيها .. بل انطلقوا – من خلال معادلة حضارية سليمة – متمسكين بثوابتهم صانعين لمستقبلهم دون مهاترات ، وتمزيقات ، وخيانات ، ومعميات !!

لكنْ – من بين الأمم كلها – تقف أمتنا ذليلة منكسرة مبددة الطاقة ، مشتتة الرؤي ، ممزقة الفكر و الحركة بين من يريدون صناعة إسلام على مزاجهم ترضى عنه القوى المعادية اللادينية ، أو اللاهوتية ، أو الصهيونية .. وبين من يريدون صناعة إسلام على مزاجهم يرضى ميولهم العدوانية والتطرفية والجمودية .. بينما إسلام القرآن الكريم ، والسنة الشريفة المطهرة بعيد عن هؤلاء وأولئك .. وبينما الإسلام السمح الكريم ، العادل الرحيم ، المتوازن الحضاري ، الذي قدمه أسلافنا العظماء ، و نشروا من خلاله – بالفكر و الخلق – كلمة الله الخاتمة حتى أصبحت كلمة الإسلام ، هي العليا ، وأصبحت حواضر الإسلام هي حضارة العلم و

الحضارة .. هذا الإسلام – كذلك – بعيد ، وغير مطروح بالقوة المطلوبة .. والمطروح فقط ، هو إسلام المنحرفين المنهزمين .. إنْ يميناً ، وإنْ يساراً .. !!

وفي وسط هذه المحنة تقدمت الوثنيات بديلاً عن دين التوحيد المطلق .. و ظهرت الأصنام هنا وهناك تكاد تعبد من دون الله ، ويُضْفَى عليها من النعوت والألقاب ، ما لا يجوز أن يضفى إلا على الله سبحانه وتعالى – بل قد أصبح بعضهم يتحدث عن بعض القيادات البشرية ، و كأنه يتحدث عن معصوم فوق الأنبياء ، بل أصبح بعضهم يصرح بأنه ينتمي إلى (أيديولوجية الشخص القائد) ، أو (أيديولوجية الحزب الرائد) .. وقال شاعر منهم في حزبه الذي يؤمن به شعراً لا يقال إلا في الله ، سبحانه وتعالى عما يشركون !!

وبدأت النعرات القومية تستعلى ، وتكاد هي الأخرى تُعبد من دون الله .. فهناك عبادة للأشخاص ، وهناك عبادة للأحزاب ، وهناك عبادة للأقوام ، وهناك عبادة للتراب والإقليميات .. بل وهناك من يعبد نفسه و مصلحته المحدودة ؛ فتراه اليوم مع الشيوعيين ، فإذا ذهبوا إلى الجحيم ، و مزبلة التاريخ لا يستحيي أن ينقلب – فوراً – إلى العلمانيين الليبراليين .. ويلبس ثوب (التنوير) ، و (التحرير) ، الذي كان يلبسه قبل ذلك باسم : (التقدمية) ، و (الحتمية التاريخية) .

والمهم أن الأمة الإسلامية ، التي يجرّها بعض المنافقين – بإصرار – و – إلحاح – بعيداً عن الإسلام ، ما زالت تضيع العقود و السنوات الطوال ، مرة تحت ظلال المادية الاشتراكية ، و أخرى تحت ظلال العلمانية الليبرالية .. و هي هنا و هناك تستحدث أوثاناً وأصناماً ، و ترفض – ولا ندري لماذا .. أن تعود إلى ربها ، ودينها الخاتم ، وكتابها الأخير الخالد ، وتستلهم ذلك كله في صناعة حضارية لن تكون – بإذن الله – لو صحت العزائم أقل من حضارة اليهود و اليابانيين في الجوانب المادية ، والتكنولوجية والاقتصادية – أما في الجوانب الأخلاقية و الإنسانية والروحية ؛ فهي نسيج وحدها ، ولا يمكن أن تقارنها بغيرها – والله عاقبة الأمور !!

هل من سبيل إلى توحيد تقويم المسلمين ؟

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وعضو اتحاد كتاب مصر ، والخبير الدولي لمنظمة الايسيسكو)

لا شك أن التقويم مظهر من مظاهر حضارة الأمة وسمة من سمات وحدتها ؛ لا سيما وهو يتعلق بأخص شئونها ، ألا وهو التعامل فيما بينها أو مع غيرها .

ومما هو بيّن في أقطار المسلمين ، أننا نجد تبايناً في تقويمها قل أن نجده عند غيرها ، فمن الدول من يستخدم التقويم الميلادي مع الهجري ، و منها من يقتصر على التقويم الميلادي ، وعجيب أن إحداها ينفرد بتقويم يؤرخ من وفاة الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ؟!

التقويم والإنسان :

في العصور القديمة كان الإنسان يعتمد في حساباته الحياتية والوقتية على ضياء الشمس ؛ لما يحدثه هذا الضياء من ظلال يتغير بين فترة وأخرى ، كذلك كان يعتمد على نور القمر من خلال هلاله وأدواره المختلفة ، إلى جانب اعتماده على حركة النجوم المتحركة في حسابه الزمني والوقتي ، ولكن تعذر في بعض الأحيان الاعتماد عليها ؛ وذلك لكثرة الغبار والغيوم التي تكثر في فصل الشتاء ، وقبل وبعد هذا الفصل ، أي ما يقارب ثلث السنة ؛ لذا فقد اتخذ الإنسان – و منذ القدم – مقاييس طبعية مستنداً على ما يلي :

١- حركة الأرض حول نفسها .

٢- حركة الأرض حول الشمس .

٣- حركة القمر حول الأرض .

ومن دراسة هذه المقاييس وضع الإنسان التقاويم (١) .

التقويم الميلادي :

وفي سنة (٤٦) قبل الميلاد استدعى الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر من الإسكندرية الفلكي المصري (سوسيجينيس) طالباً منه وضع تقويم حسابي ، وضع الفلكي المصري التقويم معتمداً على السنة الشمسية ، وبعد إعداد هذا التقويم سمي بالتقويم اليولياني نسبة إلى الإمبراطور يوليوس قيصر ، وقد اعتمدت بعض الدول والشعوب هذا التقويم .

وبأمر من الإمبراطور قسطنطين انعقد المجمع الكنسي العام (المسكوني) في سنة ٣٢٥م ، وأقر المجمع الاعتماد على التقويم اليولياني المستعمل وقتذاك ، وأن يبدأ من السنة الميلادية نسبة إلى ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، وأن تكون بداية هذا التاريخ من ١/١/١م ، وهو يوم ختان السيد المسيح عليه السلام .

وبعد إقرار التقويم من قبل المجمع اعتمدت عليه كافة دول أوربا ، وغالبية الشعوب ، والأمم الأخرى ، ويمثل هذا التقويم أن كل ثلاث سنوات بسيطة بمعدل ٣٦٥/يوماً ، والسنة الرابعة تكون كبيسة بمعدل ٣٦٦/يوماً .

واستمر هذا التقويم إلى سنة ١٥٨٢م ، وبالضبط في تاريخ ١٥٨٢/١٠/٤م ، حيث لاحظ الفلكيون في هذه السنة في عهد البابا

(١) تاريخ التقويمين الميلادي والهجري ومبادؤهما : سليمان إبراهيم الجبوري : ص/١١ بتصرف ، مطبعة الانتصار ببغداد سنة ١٤٠٧هـ .

الثالث عشر جوريجوري أن دوران الأرض ، حول الشمس في السنة الواحدة ليس ٣٦٥,٢٥/يوماً، إنما أقل بقليل من ذلك ، حيث حسبت أن دوران الأرض ، حول الشمس في السنة الشمسية الواحدة ، تساوي ٣٦٥,٢٤٢٢/يوماً، وأن هذه الفترة الزمنية التي هي بمقدار (٠,٠٠٧٨) من اليوم في السنة الواحدة قد غيرت فصول السنة على مدى السنين المنصرمة ؛ لـذا أمر البابا جوريجوري بإجراء إصلاح على التقويم المقدم من الفلكيين حول هذا الفرق ، فتقرر إصلاح التقويم ؛ كالآتي :

١- لتلافي الفرق الحاصل للفصل عبر السنين المنصرمة زيد التاريخ ١٠/أيام ، وجعل التاريخ بعد يوم ١٥٨٢/١٠/٤م-١٥٨٢/١٠/١٥م بدل ١٥٨٢/١٠/٥م .

٢- تبقى السنوات الكبيسة ؛ كما هي حسب التقويم (اليولياني) ، أي أن أي سنة تقبل القسمة على رقم/٤ بدون باق ؛ فهي كبيسة ، وما عداها يكون سنة بسيطة ، باستثناء (رؤوس القرون) السنوات التي يكون آحادها وعشراتها (٠٠) لا تكون كبيسة إلا إذا قبلت القسمة على رقم/٤٠٠ بدون باق ، إو إذا كانت السنة واقعة في رأس قرن تحذف الصفران في آحادها وعشراتها ، وباقي رقم السنة إذا قبل القسمة على رقم/٤ من دون باق تكون كبيسة ، وعلى هذا يكون في كل ٤٠٠/سنة شمسية ، ٩٧/سنة كبيسة ، في حين كان في التقويم اليولياني ، ١٠٠/سنة كبيسة في كل ٤٠٠/سنة شمسية .

وقد أقر هذا الإصلاح ، وسمي التقويم بعد إصلاحه بالتقويم الجوريجوري ، نسبة إلى عهد البابا جوريجوري .

واستعمل هذا التقويم من الدول بالتعاقب ، ولا زال يستعمل حتى الآن ، وهو المعروف بالتقويم الشمسي أو التاريخ الميلادي (١) .

(١) المرجع السابق : ص/١٣-١٩ بتصرف .

التقويم العربي :

لم يكن لجميع العرب قبل الإسلام تقويم واحد لتدوين تواريخهم ، وتثبيت حوادثهم ، بل استعملوا عدة تقاويم ، فقد كانت كل قبيلة تستعمل تقويماً خاصاً بها ، وأحياناً كانت تستعمل قبيلة تقويم قبيلة أخرى .

وكانت هذه القبائل العربية في الجاهلية تؤرخ وتقوم عدة تقاويم بفترات متباينة مبتدئة بالسنين بما يحصل فيها من أحداث جسام .

فقد أرخ قسم من القبائل من بناء النبي إبراهيم ، وابنه إسماعيل عليهما السلام الكعبة ، وآخرون أرخوا بانهيار سد مأرب أو حرب الفجار ، وقسم آخر : يؤرخ بموت رئيس القبيلة ، وآخرون يؤرخون بتولي رئيس جديد للقبيلة .

ومن أشهر تلك التقاويم التي أرخ بها أهل مكة ،وتبعتهم معظم القبائل العربية ، هي تقويم (عام الفيل) ، وسمي بذلك نسبة إلى هجوم الملك الحبشي "أبرهة" على الكعبة ، يريد هدمها بجيش يتقدمه فيل ، وفي ذلك العام ولد خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ، وكان ذلك في سنة/٥٣ قبل الهجرة ، الموافق سنة ٥٧١/ميلادية .

بقي تقويم عام الفيل تؤرخ به العرب قبل الإسلام ، وحتى في زمن الإسلام ، وانتهى بعد الاعتماد على التقويم الإسلامي (الهجري) .

أما عن كيفية تاريخ العرب لتقاويمهم :

فقد كانت هناك عدة تقاويم تؤرخ من قبل القبائل العربية قبل الإسلام ، وكانت تقاويمهم تعتمد على مبدأ الشهر القمري ، ومن جملة تقاويمهم قمري شمسي أي جعل السنة القمرية متصلة بالسنة الشمسية ، حيث كانت تحسب كل ١٩/سنة قمرية ، منها ١٢/سنة بسيطة ذات ١٢/شهراً ، والسنوات السبع الباقية سنين كبيسة يلحق بكل سنة شهراً قمرياً إضافياً أي ١٣/شهراً ، و من جملة ما أرخوا بالتقويم العربي هو إلحاق

شهر إضافي كل ثلاث سنوات قمرية (١) .

ولقد كان من بين العادات الكريمة التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام العرب ، تحريم أربعة أشهر لا قتال فيها ، و لا جدال ، و هي : ذو القعدة و ذو الحجة ، والمحرم ورجب ، وقد كان العرب يسافرون في هذه الأشهر بكل حرية ، وبخاصة لأداء فريضة الحج ، وحين دب الفساد في بعض القبائل ، اخترعوا بدعة "النسيئ" (٢) .

والنسيئ : تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ، وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وعادات ، فإذا جاء الشهر الحرام ، وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر ، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرمون من شق شهور العام أربعة أشهر (٣)، فأنزل المولى عزّوجل في ذلك قرآناً يتلى : ﴿ إنما النسيئ

(١) نفس المرجع : ص/٣٩-٤٠ بتصرف .

(٢) انظر : الإسلام يتحدى : للأستاذ وحيد الدين خان : ص/٣٤ وما بعدها .

(٣) كان يقوم بمهمة النسيء رجل ذو شأن بين القبيلة ، ملم بعلم المواقيت ، وكان من يقوم بهذه الوظيفة يلقب بـ (القلمس) ، وهي وظيفة لها وزنها ومقامها ، وكانت محصورة بأسرة واحدة من القبيلة .

يقول ابن إسحاق : وكان أول ما نسأ الشهور على العرب ، فأحلت منها ما أحل ، وحرمت منها ما حرم : القلمس ، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قلع بن عباد ، ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة ابن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام . راجع السيرة النبوية : لابن هشام : ١/٢٨-٢٩ ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، ط/دار التراث العربي سنة ١٣٩٩هـ .

زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا * يحلونه عاما * ويحرمونه عاما * ليُواطئوا عدّة ما حرّم الله ﴾ [التوبة من الآية/٣٧] ، أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها ، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين ، وربما زادوا في عدد الشهور ، فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ، و كذلك قال عز و علا : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ﴾ [التوبة : من الآية/٣٦] ، يعني من غير زيادة زادوها (١) .

وفي حجة الوداع ، يقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبته الجامعة : " ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، و المحرم ، و رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" .

يقول العلامة الزمخشري معلقاً : والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه ، وعاد الحج في ذي الحجة ، وبطل النسيئ الذي كان في الجاهلية ، وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة ، وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة (٢) .

التقويم الإسلامي (الهجري) :

بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في سنة ١١/هجرية ، و استلام الخلفاء الراشدين زمام أمور المسلمين ، بدأت الفتوحات الإسلامية واتسع مداها ، عندئذ التبس الأمر على المسلمين في الإشارة إلى السنة ؛ نظراً لكثرة الحوادث الإسلامية المهمة ، واختلاف مواقع حدوثها ، وكثرة أموال الجزية التي كانت تدفع إلى المسلمين ، ونظراً لأنهم كانوا يؤرخون

(١) تفسير الكشاف : للزمخشري : ٢/١٨٩ ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، الطبعة الأخيرة ، مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٣٩٢هـ .

(٢) المصدر السابق : ٢/١٨٨.

بالتقويم الميلادي لبعض الحوادث التي تطرأ في فتوحاته ؛ لذا بدأ المسلمون في التفكير لحل الالتباس المذكور .

ففي سنة ١٧/هجرية ، جمع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجوه الصحابة للبحث في أمور التقويم الإسلامي ، بحيث تكون بدايته من حدث إسلامي عظيم الشأن .

فمنهم من اقترح أن يبدأ من يوم ولادة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وآخرون قالوا : نؤرخ من بعد وفاة الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم ، و اقترح علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بجعل التقويم الإسلامي بدايته من سنة هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة .

واتفق الخليفة والصحابة على رأي الإمام علي كرم الله وجهه ؛ لما لهذا الحدث من معان سامية ، وانتصار للإسلام ، ومن هنا ؛ سمي التقويم الإسلامي (التقويم الهجري) ؛ نسبة إلى هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة ليستوطن في المدينة المنورة (١) .

دعوة التوحيد :

لم أكن أدري سر اعتماد الجماهيرية العربية الليبية على التقويم بوفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، حتى طالعت بحثاً للكاتب الليبي المعروف الأستاذ إبراهيم بشير الغويل ، والذي قدمه للندوة الفكرية العالمية ، حول مرور أربعة عشر قرناً على اختتام النبوة ، واكتمال الدين (٢) ، تحت عنوان : (الدورة أو "الاستدارة" الكبرى للزمان) ، وفيه يوضح هذا السر إذ

(١) تاريخ التقويمين الميلادي والهجري ومبادؤهما : ص/٤٤ بتصرف .

(٢) عقدت هذه الندوة بطرابلس في الفترة ١-٢/محرم الحرام ١٤١٢هـ ، تحت رعاية : "جمعية الدعوة الإسلامية العالمية"

يقول : "و لقد بلغت الإنسانية – و بما أثرتها به التنوعات القومية وتجاربها و تراثها – الغاية في الارتقاء يوم أن اكتمل الدين ، و ختمت النبوة و الرسالة ..

يوم أن أعلن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع أن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السماوات والأرض – فقد بدأ بعد حجة الوداع ، إذن ، الحساب الدقيق الذي تفرد بالصحة .. كما أن مرحلة جديدة من الزمان قد بدأت ، ونحن في الجماهيرية نتمسك بهذا التاريخ الصحيح .. ونتخذ منه علامة فارقة في تاريخ الإنسان ، ففي ذلك اليوم اكتمل الدين ، وأعلن انتهاء نظام النبوة والرسالة .. وبهذه المفاهيم يؤرخ بالتاريخ الذي تفرد بالصحة ، وبدأ بحجة الوداع" (١) .

ولو نظرنا بعين ثاقبة إلى ما قاله الأستاذ الغويل ، وناقشناه مناقشة موضوعية بعيدةً عن منطق الهوى المتجرد ، لقلنا :

أولاً : لماذا جزمت بأن التاريخ الذي عليه أنتم هو الذي تفرد بالصحة دون غيره ؟! مع أن التاريخ الهجري كان يعتمد على حساب في غاية الدقة من بدايته ؛ حيث ارتباطه بشعائر إسلامية كالصوم – مثلاً – والذي فرض في السنة الثانية من الهجرة (٢) .

وفي الحديث : "صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين" [متفق عليه] ، فأوجب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تثبيت يوم بدء الشهر القمري برؤية هلاله .

ثانياً : لما انفردتم بالتاريخ من وفاة الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم

(١) انظر : البحث المذكور : ص/٣-٤ .

(٢) راجع : نيل الأوطار : للشوكاني : ١٨٦/٤ ، ط/المكتبة التوفيقية ، د.ت.

مع أن هذا التقويم ، كما تذكر كتب السير والتاريخ ، كان مجرد اقتراح من بعض الصحابة ، لم يدخل بعد حيز التنفيذ ؛ إذ أجمع الصحابة و الخليفة - ساعتئذ - على التقويم الهجري ، و عملوا ولا يزال يعمل به حتى الآن ، ولم يعترض عليهم أحد ؟!! و في إجماع الصحابة والخلفاء ، وجوب للاتباع ، كما ورد في الأثر الشريف .

ثالثاً : لم تذكر كتب السير والتاريخ - على حد علمنا - أن حدث نسيئ أو كبس للأشهر بعد الهجرة في المجتمع المدني ، وما خطبة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الجامعة في حجة الوداع ، وقوله : "وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" إلا لمحة جليلة - فيما نرى - إلى وضع تقويم موحد للمسلمين جميعاً ؛ حيث حدد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مواقع الشهور ؛ كما أرادها الله ، وأشار إلى موقع شهر رجب ، وأنه بين جمادى وشعبان حسب ما عليه قبيلة مضر ، هذا بخلاف قبيلة ربيعة فكان عندها الشهر السابع رمضان ، والشهر التاسع رجب ! وفي هذا مخاطبة للقبائل العربية بأن يحرم النسيئ ، ويجب الوقوف على ترتيب موحد للشهور ، ينبني عليه تقويم موحد للأمة الإسلامية .

رابعاً : لو كان هناك عدم انضباط في التقويم الهجري في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فلماذا انتظر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عودة ذي الحجة إلى موضعه ؛ فحج حجة الوداع ، وأعلن استدارة الزمان ، وعودته كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وزوال النسيئ ، وإلى قيام الساعة - على حد تعبيرك يا أستاذ غويل (١) - ؟!!

(١) انظر بحثه : (الدورة ، أو "الاستدارة" الكبرى للزمان) ، هامش ص/١ .

الأمر - إذن - متعلق بالنسيئ عند العرب ، وليس بالتقويم الهجري ، وما انتظار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلا لكي يوافق التقويم الهجري التقويم العربي ، وعند عودة التقويم العربي إلى وضعه الطبعي ، حيث انقضاء دورة نسئة ، سوف يتفق هذا التقويم مع التقويم الهجري في سيره .

من هنا يتضح أن التقويم الهجري من بداية تاريخه كان محكوماً بضوابط في غاية الدقة ؛ ولذا فإنني أناشد الأزهر الشريف ، ورابطة العالم الإسلامي ، و المجامع الفقهية المتخصصة للتنسيق فيما بينها لاتخاذ قرار بشأن هذا الموضوع الجلل ، والعمل على تجميع الدول الإسلامية ، والمجتمع المسلم على تقويم موحد ، هو التقويم الهجري ونبذ ما عداه .. فالتقويم مظهر من مظاهر وحدة الأمم ، وحري بأمتنا أن تتحد على تقويم واحد ؛ حتى تعود للإسلام هيبته من جديد ؛ لا سيما وإذا تأملنا ماضينا ، وحاضرنا علمنا أن عزنا وجاهنا هو في التضامن ، و التوحد ، و الاعتصام بحبل الله المتين .

وصدق الله إذ يقول :

﴿ إن هذه أمتكم * أمةً واحدةً * وأنا ربكم * فاعبدون ﴾

[سورة الأنبياء ، الآية/٩٢]

﴿ و إن هذه أمتكم أمةً واحدةً * و أنا ربكم * فاتقون ﴾

[سورة المؤمنون ، الآية/٢٥٢]

والله من وراء القصد ، وهو ولي التوفيق .

* * *

الدعوة الإسلامية :

دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية

[٣/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لو علم أن البلاء لابد له من وقت حتى يزول و تزول آثاره ، و واجب على المبتلى الصبر ، وانتظار الفرج ، ومداومة الدعاء ، وما أسرع من الأيام مهما طالت ، فهي التي تصد الجروح ، و تداوي الآلام ، و تنسي المصائب ، و تبدل الأحوال إذا عشناها كما يجب ، و كل آت قريب ، وأن (أفضل العبادة انتظار الفرج) ، كما في الحديث عند الترمذي ... (٤٥) ، وانتظار الفرج أو الأمل ، هو الذي يطلق عليه الصبر ، ولكون ما أصعبه وأشده على بعض النفوس ، فما من قربى إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ، فإن أجره بغير حساب ، قال تعالى في سورة الزمر ، آية/١٠ : ﴿ إنما يُوفَى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ ، وقال في سورة القصص ، آية/٥٤ : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ ، قال سليمان بن القاسم كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر ، والصبر خير لأهله ، قال تعالى : ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ سورة النحل ، آية/١٢٦ ، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر" ، وفي المسند قول الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "و الذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن" ... (٤٦)،

قال عمر بن الخطاب وجدنا خير عيشنا بالصبر ، و قال أيضا : أفضل عيش أدركناه بالصبر ، و قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس بار الجسم ، ثم رفع صوته ، فقال : إنه لا إيمان لمن لا صبر له ، و قال : الصبر مطية لا تكبو ، وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده ، وقال عمر بن عبد العزيز : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه ... (٤٧) ، روى عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، قوله : "الصبر ستر من الكروب ، وعون على الخطوب" ، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أفضل العدة الصبر على الشدة ، وقد روى عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "بالصبر يتوقع الفرج ، و من يدمن قرع باب يلج" ، و قال بعض الحكماء بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ ، واعلم أن النصر مع الصبر ، و الفرج مع الكرب ، واليسر مع العسر ، قال بعض الحكماء : بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور ... (٤٨) ، كما أن الصبر من بين الأمور التي تؤدي إلى الفلاح ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! اصبروا * وصابروا * ورابطوا ، و اتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [سورة آل عمران ، آية/٢٠٠] ، وهو والنصر شقيقان ؛ فالنصر مع الصبر ، ولهذا قال النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "واعلم أن النصر مع الصبر" ، كما أنه والتقوى وقاية من كيد العدو ، ومكره ، قال تعالى في سورة آل عمران ، آية/١٢٠ : ﴿ وإن تصبروا * وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ ، وقد أثنى الله عز وجلّ على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره ؛ فقال : ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد * إنّه أوّاب ﴾ [سورة ص ، آية/٤٤] ، فأطلق عليه نعم العبد بكونه وجده صابراً ، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي ، فإنه بئس العبد ، كما أنه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ، ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا

يدل على أنه لا رابح سواهم ؛ فقال تعالى : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خُسر * إلا الذين آمنوا * و عملوا الصالحات * وتواصَوا بالحقّ * وتواصَوا بالصبر ﴾ سورة العصر كلها ، وقسم آخر خلقه قسمين أصحاب ميمنة ، وأصحاب مشأمة ، وخص أهل الميمنة ، أهل التواصي بالصبر والمرحمة ، قال تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا * وتواصَوا بالصبر * وتواصَوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة ﴾ [سورة البلد ، آية/١٧-١٨] ، كما علق نيل الإمامة في الدين بالصبر وباليقين ، قال الله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمةً يَهدُون بأمرنا * لما صبروا * وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [سورة السجدة ، آية/٢٤] ، والصابرين هم أحباب الله ، وأهل معيته ، قال تعالى : ﴿ والله يُحبّ الصابرين ﴾ [سورة آل عمران ، آية/١٤٦] ، وقال تعالى في سورة البقرة ، آية/١٥٣ : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ ، وقد جمع الله عزّوجل للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعهم لغيرهم ، وهي الصلاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم ، قال تعالى : ﴿ وبشّر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة * قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وأولئك هم المهتدون ﴾ [سورة البقرة ، آية/١٥٥-١٥٧] ؛ كما أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور، فقال : ﴿ ولمن صبر وغفر أن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [سورة الشورى ، آية/٤٣] كما أنه سبحانه رتب المغفرة ، والأجر الكبير على الصبر ، والعمل الصالح ، فقال : ﴿ إلا الذين صبروا * وعملوا الصالحات * أولئك لهم مغفرةٌ * وأجرٌ كبيرٌ ﴾ [سورة هود ، آية/١١] ، وقال تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم وَيْلكم ثواب الله * خير لمن آمن * و عمل صالحاً * و لا يلقّاها إلا الصابرون ﴾ [سورة القصص ، آية/٨٠] ، وفي بعض المسانيد عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "قال الله عزّوجل : إذا وجّهْت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه ، أو ماله ، أو ولده ، ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً ، أو أنشر له ديواناً" ، و خص بالانتفاع بآياته أهل الصبر ،

وأهل الشكر تمييزا لهم بهذا الحظ الموفور ، فقال : ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور ﴾ [سورة إبراهيم ، آية/٥] ، و أخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء ولياً حميماً ، فقال : ﴿ ولا تستوي الحسنة * ولا السيئة * ادفع بالتي هي أحسن * فإذا الذي بينك وبينه عداوة * كأنه وليٌّ حميمٌ ﴾ [سورة فصلت ، آية/٣٤] ، ومن يتول هذه الخصلة ، هو : ﴿ وما يُلقّاها إلا الذين صبروا * و ما يُلقّاها إلا ذو حظّ عظيمٍ ﴾ [سورة فصلت ، آية/٣٥] ، و أمر رسوله بالصبر ، فقال : ﴿ واصبر لحكم ربك * فإنّك بأعيننا ﴾ [سورة الطور، آية/٤٨]، وقال : ﴿ واصبر * وما صبرك إلا بالله ﴾ [سورة النحل ، آية/١٢٧]، كما جعل الصبر عوناً وعدةً وأمر بالاستعانة به ، فقال تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر و الصلاة ﴾ [البقرة ، آية/٤٥] ، فمن لا صبر له لا عون له ... (٤٩) ، و إن لم اصبر أنا و أنت ، فماذا نصنع ؟ هل عندك حل لنا غير الصبر ؟ هل تعلم لنا زاداً غيره ؟ و اصبر و ما صبرك إلا بالله ، اصبر صبر واثق بالفرج ، عالم بحسن المصير، طالب للأجر ، راغب في تكفير السيئات ... (٥٠) ، روى عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائي ، ويصبر على بلائي ، فليخترْ ربا سواي" ، وقال علي بن أبي طالب للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت جرى عليك القلم ، وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القلم ، وأنت مأزور ... (٥١) ، فقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فاصبر ! صبراً جميلاً ﴾ [سورة المعارج ، آية/٥] ، إنه الصبر الذي لا شكوى فيه ، ولا بث ، روى أنس بن مالك أن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، قال : (ما صبر من بث) ، وحكى كعب الأحبار أنه مكتوب في التوراة : من أصابته مصيبة ؛ فشكى إلى الناس ، فإنما يشكو ربه ... (٥٢) .

لو علم أنه واجب علينا أن نفر إلى الله ، نستعيذ به ونلوذ إليه ، ونعتصم به ، ننقطع إليه ، ونتبتل إليه تبتيلاً ، ونحسن الظن والثقة فيه ،

ندعوه في الشدة والرخاء ، و في السراء والضراء ، ونفزع إليه في الملمات ، ونتوسل إليه في الكربات ، و ننطرح على عتبات بابه سائلين باكين ضارعين خاشعين منيبين ، ونكثر من ذكره ، نبالغ في سؤاله ، نلح عليه ، ونهتف باسمه المقدس ، ونردده توحيداً ، ومدحاً ، واستغفاراً ، نمد أيدينا ، ونرفع أكفنا ، نطلب مدده ، ونسأله نصره ، وفرجه ، ورحمته ، ننتظر لطفه ، نترقب فتحه ، فهو قريب إذا دعي ، سميع إذا نودي ، مجيب إذا سئل : ﴿ أمن يُجيبُ المضطرّ * إذا دعاه ﴾ [سورة النمل ، آية/٦٢] ، حينها يأتي مدده ، ويصل عونه ، ويسرع فرجه ، ويحل فتحه ، فينجي الغريق ، ويرد الغائب ، و يعافي المبتلى ، و ينصر المظلوم ، و يهدي الضال ، و يشفي المريض ، و يفرج عن المكروب ، فإن الدعاء عبادة أخرى ، و طاعة عظمى ثانية فوق حصول المطلوب ... (٥٣) ، يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "ما أصاب عبداً هم ، ولا حزن ، فقال : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم ، هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً" [رواه أحمد ... (٥٤)] .

بعد هذا كله يتبن لنا أن أبواب الأمل ما زالت وستزال مفتوحة على مصراعيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، الأمل في غد يشرق بغنى ، وشبع ، وظمأ ، وصحة ، وسعادة لمن عاني الفقر ، والجوع ، و العطش ، والمرض ، والبؤس ، غد يشرق بإيثار للنفوس على بعضها البعض ، وبأخوة وحب في الله ، غد يقام فيه دين الله في الأرض ، ويملؤها قسطاً وعدلاً ، غد ينتصر فيه المظلوم من ظالمه ، ويعود فيه الحق لصاحبه ، غد يبشر بفرج لكل ذي هم ، غد يصل فيه الغائب ، ويهدي فيه الضال ،

و تك فيه العاني ، غد يشرق بسواعد قوية تحطم قيود التخلف ، وتزيح تابوس المستعمر من على كواهلنا ، غد يشرق بصلاح الدين الأيوبي يعيد القدس لأحضان الأمة الإسلامية ، غد يشرق بأبي بكر الصديق ، و عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعمر بن عبد العزيز ، يعيدون للإسلام وللمسلمين صدارتهم للأمم .

* * *

المراجع :

(٤٥) لا تحزن -عائض بن عبد الله القرني : ص/٣٢ و/٤٨-٤٩، وص/٨٧ و/١٢٤ .

(٤٦) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين -ابن قيم الجوزية : ص/٦ و/٨٧، وص/٩٥-٩٦ .

(٤٧) لا تحزن -عائض بن عبد الله القرني : ص/١١١ و/١٣٠ .

(٤٨) أدب الدنيا والدين -أبو الحسن الماوردي : ص/٢٨٦ و/٢٨٩-٢٩٠ .

(٤٩) عدة الصابرين و ذخيرة الشاكرين -ابن قيم الجوزية : ص/٦-٨ ، و/٧٤-٧٩ ، و/٨٧ .

(٥٠) لا تحزن -عائض بن عبد الله القرني : ص/٤٣-٤٤ .

(٥١) أدب الدنيا والدين -أبو الحسن الماوردي : ص/٢٨٨ .

(٥٢) أدب الدنيا والدين -أبو الحسن الماوردي : ص/٢٩٧ .

(٥٣) لا تحزن -عائض بن عبد الله القرني : ص/٢٩-٣٠ ، و/٣٥-٣٦ ، و/٢٠٦.

(٥٤) مواجهة الفقر في الكتاب والسنة -محمد عبد الستار اليمني : ص/٧٣ .

ماذا تعني :
ظاهرة الكسوف ؟!

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الاسلامية" - الرياض)

جاء الخبر بأن في آخر الزمان ، تكثر الظواهر الكونية ، التي يسوقها الله على عباده ، لكي تتعظ القلوب ، و تتنبّه بها الأفئدة لكي تستيقظ من غفلتها ، وتعود إلى خالقها بالتوبة والاستغفار .

والنفس البشرية طبيعتها الغفلة ، ومع الغفلة يتسلّط عدوّ الله إبليس ، وأعوانه من شياطين الإنس والجن ، لكي تُجرّ هذه النفس إلى المعاصي ، وبذلك يغلب الرّان على القلوب ، ويقلّ الإحساس ، فتأتي آيات الله الكونية ، وعجائب قدرته سبحانه ، مساقة إلى البشر ، ليتيقظ في قلبه إحساس من إيمان ، أو نبضة من يقين ، ليدرك بذلك موطن الضعف من نفسه ، و يحاسبها قبل أن تحاسب ، ألم يقل سبحانه لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : ﴿ ما أصابك من حسنة * فمن الله * وما أصابك من سيئة * فمن نفسك ﴾ [النساء/٧٩] .

ولمّا أخطأ بعض الصحابة في إحدى الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاقبهم الله عقاباً عاجلاً ، بمصيبة وقعت عليهم ، ضعضعت جمعهم ، وجعلت الكفر ترجح في جانب الكفّار ، لتكون لهم عبرة ، وآية لكل من يأتي بعدهم ، بأن تقصير المرء في امتثال أمر الله ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، سيئة تستحق من الله العقاب ، وأن الله سبحانه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا لعجّل لهم العذاب ، كما حصل للأمم السابقة التي أهلكت

بسبب المعاصي والعناد ، ولكن الله جلّت قدرته ، قد اقتضت حكمته ، و وعد رسوله الأمين ، بأن لا يهلك هذه الأمة بسنة عامة ، ولكن يسوق العبر والآيات ، إنذاراً وتعليماً ، لكي تدرك النفس الخطأ ، و تعود إلى الله سبحانه بالتوبة والاستغفار ، والله غفار لمن تاب إليه وأناب : ﴿ قُلْ : يا عبادي ! الذين أسرفوا على أنفسهم * لا تقنطوا من رّحمة الله * إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ [الزمر/٥٣] .

يقول سبحانه في حق الصفْوة الأولى من هذه الأمة عند ما بدر منهم مخالفة تستوجب العبث و الإنذار : ﴿ أَوَ لمّا أصابتكم مصيبة * قد أصبتم مثليها * قلتم : أنّى هذا * قل : هو من عند أنفسكم * إن الله على كل شئ قدير * وما أصابكم يوم الْتَقَى الجمعان * فبإذن الله * وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا * وقيل لهم : تعالوا ! قاتلوا في سبيل الله * أو ادْفعوا ﴾ [آل عمران/١٦٥-١٦٧] .

والنذائر التي يسوقها الله كثيرة ، بحسب الأحوال ، منها ما هو في النفس أو الولد ، ومنها ما هو في المال أو الممتلكات ، ومنها ما يتعدى إلى المجتمع كله ، أو إلى ما هو أعمّ وأشمل ..

وكل هذا بحكمة من الله ، ولسبب قد تغفل عنه بعض النفوس ، وقد لا ترعاه نفوس أخرى أي اهتمام ، ولا يحرك لديها ساكناً ، لخلوّ القلب من الإيمان ، و بعده عن الله وآياته .. كما قال سبحانه في مثل هؤلآء : ﴿ و ما تُغني الآيات والنذر عن قوم لاّ يؤمنون ﴾ [يونس/١٠١] .

والشمس والقمر آيتان من آيات الله ، خلقهما الله لحكمة وغاية ، قد يدرك بعض سكان الأرض شيئاً من فوائدهما وأثرهما على الحياة ، و قد يغيب الأكثر ، وكل ينظر من ذلك بحسب إدراكه ، فالفلاح يدرك منهما ضرورة الشمس لنمو النباتات ، وأثرها في المحاصيل ، وفائدة القمر في الحساب ، وطوالع النجوة التي تدور عليها البذور وأعمال فلاحة ، والبحّار

يعرف منهما ما يحصل في البحار من مدٍ وجزر ، و ما يترتب على أثرهما من حركة في البحر ، ومواسم للصيد وهجرة الأسماك .

والماديون ، يقيسون ذلك بنظرتهم المستمدة من الأمور المحسوسة الوليدة للتجارب والمختبرات ، وأن ما يمر فيهما من تغيرات ، ما هي إلا ظواهر كونية مقيدة بحساب ، و معروفة من قبل ؛ كما تعرف الأمور المادية تجربةً وزراعةً وحساباً .. وغيرهم ، كل بحسب فهمه واعتقاده .

أما المؤمن العارف بربه ، الدارس لتعاليم دينه ، فهو صاحب القلب الواعي ، الذي يدرك الحكمة مما ينتج لأي ظاهرة كونيّة تمر ، ودوره في تعامله مع ذلك ، و من ذلك كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، لأنه يعلم من كتاب الله عمق الدلالة ، ويعرف عن نفسه أنه مخاطب بمثل هذه الآية الكريمة : ﴿ وما نُرسل بالآيات إلاّ تخويفاً ﴾ [الإسراء/٥٩] ، ويحاسب نفسه ويلجأ إلى الله اتّباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالشمس لما كسفت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج عليه الصلاة والسلام إلى المسجد مسرعاً ، يجرّ رداءه ، فصلّى بالناس ، ودعا وتضرع إلى الله ، وأخبر الناس : أن الكسوف آية من آيات الله ، يخوّف الله به عباده ، و أن الشمس و القمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته – يريد بذلك الردّ على من قال : إن الكسوف جاء تعبيراً عن موت إبراهيم ابن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم – فأخبرهم أنهما لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته ، لأن موت إبراهيم صادف يوم كسوف ، فأراد صلى الله عليه وسلم إزالة هذه الشبهة ، و الإخبار بما هو أشمل ، ليكون ذلك عبرة وآية للأمة في كل حالة تمرّ ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كما بين صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهو بيان للأمة إلى يوم الدين ، بأن الكسوف قد يكون سبب نزول عذاب بالناس ، ولذا فقد أمر بعلاج تطمئن إليه القلوب ، ويزيل الأثر ، وهو أمكن من العلاجات المادية ، التي

يتخرص فيها الماديون ، ذلك العلاج فيه إزالة لأثر هذه الظاهرة الكونية : من كسوف للشمس ، أو خسوف للقمر ، و ترتيب الوصفة ، وصفة العلاج ، مما يلامس أوتار القلوب ، ويزيل الغفلة ، وما قد يكون علق بالقلب من ران ، والرّان هو الغشاء الذي تتركه المعاصي والسيئات ، ويستر القلب بغلاف غير محسوس بالنظرات ولا الماديات ، ولا بالألوان المعهودة ، و لكنه مدرك بقسوة القلب ، و بعدم تأثره أو إحساسه بألم المعصية ، ونتائج البعد عن الله ، ومخالفة شرعه الذي شرع لعباده .

ذلك العلاج لا يكلّف كثيراً ، ولا يرهق باجتماعات وتقارير ، ولا برصد أموال ، وإقامة منشآت ، ومؤتمرات ، إنه علاج من صيدلية الإسلام ، نابع من مشكاة النبوّة ، فقد أمر صلى الله عليه وسلم ، عندما ظهرت حالة الكسوف للشمس ، وحالة الخسوف للقمر : بالصلاة عند حصولهما ، ثم الفزع إلى الله بالدعاء والاستغفار ، و التضرّع و الخشوع بين يديه سبحانه ، وأمر بالصدقة والعتق لمن كان قادراً على ذلك ، وحث على الأعمال الأخرى المقرّبة إلى الله سبحانه ، كما جاء في خطبته عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ، أخذاً من قول الله سبحانه : ﴿ وقال ربكم : ادْعوني استجب لكم ﴾ [غافر/٦٠] ، لأن كثرة الدعاء ، مما يدفع الله به البلاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : "فصلّوا وادعوا ؛ حتى ينكشف ما بكم" .

وفي هذا استعداد من النفوس بالمراقبة لله سبحانه ، واستجابة من المسلم لأمر الله ، و أمر رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – ، والتجاء إلى الله جلّ و علا عند اختلاف الأحوال ، و حدوث ما يخاف الإنسان بسببه ، فالله سبحانه هو المقدّر لأي أمر ، وهو المجيب للداعي إذا دعاه ، وهو كاشف الضرّ ، وهو مجيب دعوة المضطرّ إذا دعاه ، ولذا يجب على المسلم أن تذكّره الحوادث والكوارث بخالقه ، وتعيده إليه : عبادة ودعاء عندما يغفل ، كما أن عليه أن يدرك أن الله يخوّف عباده بمثل كسوف الشمس ، أو

خسوف القمر ، او الصواعق او الرياح ، وغيرها مما يصعب حصره ، لأن الله قد أهلك أمماً قبلنا ، حكى القرآن الكريم بعضاً من وقائعهم ، فعاد : أهلكهم الله بالريح ، و قوم صالح - ثمود - : أهلكهم الله بالصيحة ، و قوم نوح : أهلكهم الله بالغرق ، ومثلهم فرعون وقومه ، وغيرهم ممن حكى القرآن الكريم وقائعهم ..

ولما كان أعرف الناس بالله ، أخوفهم منه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رأى الريح ، لجأ إلى الصلاة والدعاء ، وأمر فيه بذلك ، ومما قاله : اللهم اجعلها رياحاً ، ولا تجعلها ريحاً ، وكان إذا رأى السحاب ، مقبلاً يفزع ويدعو ربّه ، ويضطرب دخولاً وخروجاً ، حتى تمطر ، فيكشف رأسه للمطر ليتلقّاه ويدعو ربه ، وعندما كسفت الشمس خرج فزعاً يجرّ رداءه ، ودعا الناس للصلاة ، وأمرهم بالدعاء و الصدقة ، وفعل الخيرات ، وعند ما خسف القمر عمل مثل ذلك ، وأمر الناس بالتوبة ، وحثّهم على الصلاة والدعاء حتى ينكشف ما بهم ، لأنهما آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده ، و الخوف لا يزيله إلا راحة القلب باليقين ، و ثقل اللسان بالدعاء ، وعبادة الجسم بالصلاة ، و التضرع إلى الله سبحانه ، و لذا أصبحت الصلاة للكسوف سنة مؤكدة بالكتاب والسنة ، واتفاق المسلمين ، و عبادة مع الله سبحانه بالجسم والوجدان ، وكامل الحواسّ ، واستمرار بالعبادة ، والأعمال الخيرية في محاسبة للنفس ، وتوبة ما بدر منهما ، علِم ذلك أولم يعلم ، إلا أن الله لا يخفى عليه خافية ، و الحفظة يسجلون على الإنسان كل ما يبدر منه .

فأما كونها سنة مؤكدة بالكتاب ، فاستنبطها بعض الفقهاء من قول الله سبحانه وتعالى في سورة فصلت : ﴿ ومن آياته اللّيل والنهار * والشمس و القمر * لا تسجدوا للشمس * و لا للقمر * واسجدوا لله *

الذي خلقهن * إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ [فصلت/٣٧] .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند مروره بهذه الآية : ثم لما كانت الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلويّ والسفليّ نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره ، فلا تشكوا بهما ؛ فما تنفعكم عبادتكم له ، مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به ، ولذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّهما ، وسب الليل والنهار ، ولا الرياح .

وأما السنة فقد تواترت بذلك ، وصحت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله و فعله ، فقد صلى الكسوف بأصحابه ، و لذا تسنّ جماعة ، و يدعى لهما بأذان : هو الصلاة جامعة ، حيث روت عائشة رضي الله عنها : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المسجد ، فقام وكبر ، وصف الناس وراءه" [متفق عليه] .

وتشرع في حق النساء ؛ لأن عائشة وأسماء صلتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [رواه البخاري] .

أما وقت الصلاة فمن ابتداء الكسوف إلى التجلّى ، ولا تقضى صلاة الاستسقاء ، و لا الكسوف ، و لا غيرها من السنن المحددة بوقت ومناسبة .

وقد حكي اتفاق المسلمين على مشروعيتها : جماعة وفرادى .. وتركها تعطيل للسنة ، وعملها فيه أجر ، وفيه تقوية للقلوب برقة القلوب ، والتوبة إلى الله ، والضراعة إليه بالدعاء والاستغفار ، والله سبحانه قد وعد ؛ و وعده الحق : أن لا يعذب هذه الأمة ، وهم يستغفرون ، وأن لا يهلكم بسنة عامة .. رزق الله حسن الاتباع ، وملازمة السنة ، والحرص على الصلاة ، والدعاء ، والأعمال المقربة إلى الله .

ذكاء وفطنة :

جاء في نهاية الأرب للنويري : أن المعتضد العباسي كان جالساً يوماً في بيت يبنى له ، وهو يشاهد الصّناع ، فرأى في جملتهم عبداً أسود منكر الخلق ، شديد المرح ، يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين ، ويحمل ضعف ما يحمل غيره ، فأنكر أمره ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج ، فقال لوزيره : قد خمنت في هذا تخميناً ، ما أحسبه باطلاً ، إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها ، أو يكون لصاً يتستر بالعمل ، ثم قال : عليّ بالأسود ، فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه ليضربّن عنقه ، فقال الأسود : ولي الأمان يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم ، إلا ما كان من حدّ ، فظن أنه قد أمّنه ، فقال : كنت أعمل في أتون الآجر منذ سنين ، فأنا منذ شهور جالس إذْ مرّ بي رجل في وسطه كيس ، فتبعته ؛ وهو لا يعرف مكاني ، فحلّ الهميان ، وأخرج منه ديناراً ، فتأملته ؛ فإذا كله دنانير ، فكتفته ، وسددت فاه ، وأخذت الهميان ، و حملته على كتفي ، وطرحته في التنور ، وطينت عليه ، فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه ، وطرحتها في دجله ، والدنانير معي تقوّي قلبي .

فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير ، وإذا على الكيس لفلان بن فلان ، فنادى في المدينة فحضرت امرأته ، و قالت : هذا زوجي ، و قد ترك طفلاً صغيراً ، خرج في وقت كذا ، ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب إلى الآن ، فسلّم الدنانير إليها ، وضرب عنق الأسود ، وأمر أن يوضع في الآتون . [١٥٠/٣]

* * *

التعليم الديني العالي في النساء قبل الاستقلال

بقلم : الدكتور نسيم أختر الندوي
(جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)

إن مناهج الدراسات العربية والإسلامية للبنات ، السائدة بالهند في عصرنا هذا لم تكن لها نفس الصورة قبل الاستقلال ، ولكن المدارس الابتدائية كانت تهتم بتعليم الأولاد والبنات معاً ، ويتم التدريس في البيوت والمساجد والمكاتيب ، فعامة النساء كن يتعلمن قراءة القرآن ويحفظنه ، ويتعلمن شيئاً من الكتابة ، أما بالنسبة للدراسات العليا الخاصة بالبنات ، فلم يكن المجتمع محروماً منها البتة ، حيث نجد أن العلماء قاموا بتربية بناتهم ، وتثقيفهن في بيوتهم ، و كذا بنات السلاطين والأمراء في القصور ، وبدأ تاريخ التعليم العالي للبنات في أسر العلماء منذ زمن الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى ، الذي سعي جاهداً في ترويج التعليم للبنات فراعى بنفسه تعليم نساء أسرته ، و دعا أبناءه و تلامذته إلى اتباع خطواته ، كذلك يذكر صاحب الأرواح الثلاثة ، إن الشيخ إسماعيل الشهيد رحمه الله تعالى علم أخته مشكاة المصابيح ، ثم الصحاح الستة (١) .

فبجهود هؤلآء العلماء راجت الدراسات العليا للبنات في أسر العلماء ، أما المقررات الدراسية السائدة آنذاك ، فكانت تشتمل على قراءة

(١) شاه أمير خان : "الأرواح الثلاثة" ، التعليق والتحشية للشيخ أشرف علي التهانوي ، كتب خانه نعيمية - ديوبند ١٣٤٣هـ : ص/١٠٨ .

القرآن الكريم وتحفيظه ، ودراسة الحديث ، وما يتطلب من الفقه ، والثقافة الإسلامية من بين سيرة النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وسير الصحابة وغيرهم من رجال الفكر والدعوة .

نذكر هنا عن بعض النساء اللاتي اشتهرن في مجال العلوم والفنون في عصر حكومة المسلمين في الهند ، كمثال : رضية بنت التمش ؛ وهي بعد ما أخضعت البلاد لأمرها التفتت إلى تحسين حالة البلاد العامة ، فبثت العلوم في عصرها ، و "ستي خانم" زوجة الحكيم نصير الدين الكاشي التي كانت فصيحة بليغة بارعة في القراءة والتجويد ، استخدمتها أرجمند بانو صاحبة شاهجهان ، فتقربت إليها بحسن تدبيرها ؛ فجعلتها معلمة لجهان آراء بيغم (١) ، وسليمة سلطانه بنت غُل رُخ بيغم بنت السلطان ظهير الدين بابر ، واسم والدها مرزا نور الدين محمد النقشبندي ، ولدت سنة خمس وستين وتسعمائة من الهجرة ، واشتهرت كفاضلة وشاعرة عفيفة ، يعترف بكفاءتها العلمية الملك المغول جهانغير في كتابه : "تزك جهانغيري" ؛ فيقول :

"بجميع صفات آراستكي داشتند ، در زنان اين مقدار هنر ، وقابليت كم جمع شد" (٢) .

"هي تتصف بجميع المحاسن والمكارم ، وقلما توجد هذه الصفات الحميدة في النساء" .

---

(١) العلامة عبد الحي : "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" ، يعني : "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر" : ج/٥ ، ص/١٧٦ ، مكتبة دار عرفات - رائ بريلي ١٩٩١م .

(٢) صباح الدين عبد الرحمن : "بزم تيمورية" : ج/٣ ، ص/٢٤١، مطبع معارف ، الطبعة الأولى ١٩٨١م .

ماهم بيغم : وهي كانت مرضعة لجلال الدين أكبر ، وكانت عالمة فاضلة أسست مدرسة كبيرة في مدينة دلهي لترويج العلوم والفنون ، وهي تسمى بـ "خير المنازل" (١) ، و نواب زينة النساء بيغم بنت السلطان محي الدين أورنغ زيب ، وهي الملكة الفاضلة ، والأديبة الشهيرة ، ولدت في سنة ثلاث وخمسين وألف ، ونشأت وترعرعت في تربية ملوكية ، ومن مآثرها زينة المساجد في دلهي .

نواب زيب النساء بيغم بنت السلطان محي الدين أورنغ زيب : وهي حفظت القرآن الكريم على مريم أم عناية الله الكشميري ، ثم تعلمت الكتابة من نسخ و تعليق ، وقرأت الكتب الدراسية على الشيخ أحمد بن أبي سعيد الحنفي الأميتهوي (٢) ، وعلى غيره من العلماء ، التفت حولها كثير من العلماء والشعراء ، ولها مؤلفات عديدة ، نحو : "زيب المنشآت" ؛ و هو مجموع رسائلها ، و "زيب التفسير" ؛ وهو ترجمة التفسير الكبير للرازي .

جانان بيغم بنت بيرم خان ، وأخت عبد الرحيم خان خانان : وهي كانت ذكية ومثقفة ، شهيرة في أخلاقها الحسنة ، وتوقير العلماء وحب الفقراء قامت بتفسير القرآن الكريم .

أمة الغفور بنت إسحاق بن أفضل العمري الدهلوي ، إحدى الصالحات القانتات كانت تتضلع بالفقه والحديث ، تزوج بها الشيخ عبد القيوم بن عبد الحي الصديق البرهانوي ،وجاء بها إلى بوفال ، وكان إذا استصعب عليه أمر من الفقه والحديث يدخل عليها ويستفيد منها (٣) .

و نور جهان بيغم : اسمها مهر النساء ، وهي بنت اعتماد الدولة

---

(١) أيضاً : ج/٣ ، ص/٢٤٢ .

(٢) العلامة عبد الحي : الإعلام (نزهة الخواطر) : ج/٦ ، ص/٩٩-١٠٠ .

(٣) أيضاً : ج/٧ ، ص/٨٩ .

غياث الدين بن محمد شريف الطهراني ، نشأت وترعرعت في الأسرة العفيفة ، تعلمت الخط والحساب ، وفنوناً أخرى ، توفيت سنة خمس وخمسين وألف ببلدة لاهور ، اشتهرت بعلمها وفنها ، ولا سيما بشعرها .

وشمس النساء السهسوانية : وهي بنت الفاضل الكبير السيد أمير حسن المحدث السهسواني اشتهرت كعالمة فاضلة وقارئة ، تعلمت الخط والكتابة ، والنحو والصرف ، و التفسير ، ومشكاة المصابيح ، ثم الصحاح الستة على أبيها ، وحازت بالفضيلة (١) ، كانت حادة الذكاء ، سريعة الخاطر ، قوية الحفظ ، تحفظ المتون و الأسانيد تذكر في النساء ، و تشرفهن بتوجيهاتها الدينية القيمة ، توفيت سنة ألف وثلاثمائة وثمان ، وأرجمند بانو الملقبة بممتاز محل ، زوجة الملك شاهجهان ، كانت متحلية بالعلم ، ولها براعة في اللغة الفارسية كذلك ممن حصلن على سمعة كبيرة في الدراسات العليا نواب شاهجهان بيغم بنت نواب سكندر بيغم : وهي كانت ملكة فاضلة ، ولدت في عام ألف ومأتين وأربعة وخمسين ، حصلت الفنون ، وتعلمت الخط والكتابة ، واللغة الفارسية ، والإنشاء و الشعر ، اشتهرت في القدرة على ترجمة القرآن الكريم ، و كتابة الرسائل الدينية ، كانت صاحبة الفضل والكرم ، قامت بإحياء المدارس العلمية ، وشيدت المساجد العظيمة ، وقررت الوظائف الضخمة ، منحت الطلبة آلافاً من المصاحف ، والكتب الدينية ، أنفقت مالاً عظيماً على طبع المصحف والتفسير واللغة وغيرها من العلوم والفنون ، و أسست المدرسة الجهانغيرية ، و لها كتب مشهورة منها : "ديوان الشعر" ، و "تهذيب النسوان" ، توفيت سنة ألف وثلاثمائة وتسع عشرة (٢) ، جهان آراء بيغم بنت شاهجهان : نشأت وترعرعت في مهد

(١) أيضاً : ج/٨ ، ص/٣٠٠ .

(٢) أيضاً : ج/٨ ، ص/١٩٨-٣٠٠ .

العلم والمعرفة ، قرأت الدروس الابتدائية على ستي خانم ، وتعلمت بعد ذلك القراءة والتجويد من نفس المعلمة (١) ، هذه المرأة قد حصلت الدراسة العليا ، وأصبحت مؤلفة وشاعرة ، والجدير بالذكر أنها ألفت "مونس الأرواح" (٢)، وهي كانت ابنة ست و عشرين من عمرها ، ذكرت فيها ، عن تراجم السيد معين الدين الجشتي ، والشيخ حميد الدين الناغوري ، والشيخ قطب الدين الكاكي رحمه الله ، وفريد الدين غنج شكر ، ونظام الدين أولياء ، وجراغ الدهلوي (٣) .

و غُلبدن بنت السلطان ظهير الدين بابر ، ولدت بأرض خراسان ، وكانت فاضلة وشاعرة وعفيفة ، وصاحبة العقل والدهاء ، وذات الأمر والرأى ، ولها "هُمايون نامة" كتاب بسيط في أخبار أبيها وصنوه ، توفيت سنة عشر وألف من الهجرة في أيام أكبر ، وخديجة بنت عمر بن صلاح الدين البنجابي : و هي من سلطانات الهند ، نشأت و ترعرعت في بلاط أبيها ، و تلقت من العلم و الثقافة ما جعلها من أندر نساء زمانها أدباً وكمالاً ومعرفةً (٤)، وصالحة بنت عناية رسول الله : وهي كانت مرأة فاضلة عفيفة ، تعتبر إحدى الصالحات القانتات ، ولدت سنة أربع وثمانين ومأتين وألف بجرياكوت ، و نشأت في مهد أبيها ، و قرأت عليه الكتب الدراسية ، لازمت أباها ملازمة طويلة حتى برعت في العلوم كلها ، عقلياً كان أو نقلياً ، توفيت عام ألف و ثلاثمائة و ثمانية عشر (٥) ، فاطمة الخانفورية بنت القاضي محمد

(١) أيضاً : ج/٨ ، ص/١٩٨-٣٠٠ .

(٢) مآثر الكرام : ج/٢ ، ص/٩١-٩٢ ، نقلاً عن بزم تيمورية - للمؤلف صباح الدين عبد الرحمن بتصرف .

(٣) صباح الدين عبد الرحمن : بزم تيمورية : ج/٣ ، ص/٢٤٩ .

(٤) عمر رضا كحالة أعلام النساء : ج/١ ، ص/٣٢٨ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، سنة ١٩٥٩م .

(٥) العلامة عبد الحي : الإعلام (نزهة الخواطر) : ٢١١/٨.

حسن بن محمد غل الخانفوري المزاروي ، وهي كانت من الفاضلات الصالحات ، والقانتات ، قرأت العلم على والدها ، وعلى أخويها الفاضلين ، القاضي عبد الأحد ، والقاضي محمد ، توفيت عام ألف وثلاثمائة واثنين (١)، ولحاظ النساء السهسوانية : ولدت في شعبان سنة تسعين ومائتين وألف ببلدة رامفور ، تعلمت الخط والكتابة ، والنحو والصرف ، وغيرهما من العلوم الآلية ، ثم قرأت بلوغ المرام ، وبعض الصحاح والسنن على الشيخ بشير السهسواني ، ثم أخذت بعض كتب الأحاديث عن حسين بن محسن اليماني ، و حصلت لها الإجازة عنهما ، وعن الشيخ المحدث نذير حسين الحسيني الدهلوي ، و هي شهيرة في كونها حادة الذكاء ، سريعة الحفظ ، أنفقت عمرها في دراسة الحديث و التفسير ، توفيت سنة تسع و ثلاثمائة و ألف بمرادآباد .

نهضت في عصر حكومة المسلمين كثير من السلطانات والأميرات اللاتي قمن بتأسيس مدارس لترويج العلوم الدينية نذكر بعضاً منها فيما يلي :

١- مدرسة ماهم بيغم بدلهي : وهي كانت مرضعة للملك جلال الدين أكبر ، أصبحت هذه المدرسة مشهورة باسم : "خير المنازل" .

٢- مدرسة فتحفوري بيغم بدلهي : أسست هذه المدرسة عام ١٠٦٠هـ، وقامت فتحفوري بيغم ببناء حجرات للعلماء في هذه المدرسة .

٣- مدرسة أكبر آبادي بيغم بدلهي : كانت تتوفر في هذه المدرسة أيضاً حجرات للطلبة و الأساتذة ، استمرت خدمة هذه المدرسة إلى نهاية الحكومة المغولية ، تفتخر هذه المدرسة على أن شاه عبد القادر المحدث الدهلوي ، قد شرف الطلبة بالتدريس فيها، بدأت المدرسة سفرها التعليمي عام ١٠٦٠هـ ، واستمرت إلى ١٨٥٧م ، ثم دمرت بأيدي الإنجليز (٢) .

٤- مدرسة البنات بفتحفور : أسست في قرب القصور للسلاطين ، توجد آثارها حتى الآن (٣) .

٥- مدرسة راجي بيغم ؛ وهي زوجة الملك شاه محمود عالم : أسست هذه المدرسة عام ٨٠٤هـ ، وبنت في قربها مسجداً عينت المنح الدراسية للطلبة والطالبات (٤) .

٦- مدرسة غازي الدين خان دلهي : أسست هذه المدرسة في القرن الثاني عشر من الهجرة .

(١) أيضاً : ٣٩٣/٢. (٢) أيضاً : ص/١٦٢. (٣) أيضا : ص/١٦٨. (٤) أيضاً : ص/١٦٩.

المذهب الحنفي والتحديات المعاصرة

[٣/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد فهيم أختر الندوي
(مدير الشئون العلمية بمجمع الفقه الإسلامي -الهند)

الفصل الثاني - مشكلات :

هذه بعض اتجاهات ذكرناها ، وهي تتصارع وتتضارب على الصعيدين الإقليمي والدولي ، وخاصة في المصنفات المعاصرة ، وبجانب هذه الاتجاهات ، وكذلك وراء هذه الاتجاهات توجد مشكلات منوعة أيضاً تعرقل خاصة في سبيل الإسلاميين الساعين لتطبيق شريعة الله في دولهم الإسلامية ، حاولت الإشارة إلى بعض أهم تلك المشكلات ، و هي فيما يلي :

ازدواجية التطبيق :

طبيعة الفقه الإسلامي تختلف تماماً عن القوانين الوضعية ، التي صنعتها عقول الناس و وضعتها أيديهم ، لأنه شريعة إلهية مبسوطة في كتاب الله الكريم ، و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنه قانون شامل ومتكامل الأجزاء ومترابط الفروع ، لا يمكن فصل جزء عن بقية أجزائه ، والجزء المنفك منه لم يفتأ يفتقد روحه ، ويبقى خشباً جافاً لإحراك به ، هذه طبيعة الفقه الإسلامي وسر إنشائه مجتمعاً نزيهاً مأموناً .

٣١- من مخلفات الاستعمار الغربي في العالم العربي والإسلامي ظاهرة الازدواجية في الرؤى الفكرية والسلوكيات التطبيقية ، بدأت هذه الظاهرة مفروضة قسراً على الأمة الإسلامية من جانب الأعداء ، ثم

أصبحت هي السمة البارزة في بلدان المسلمين ، ويمكن مشاهدة هذه الظاهرة في الاتجاهات السائدة خلال عقود التحرر السياسي لبلدان المسلمين من الاستعمار الغربي ، و يجب علينا الإشادة بالجهود التي بذلها المخلصون الغيارى من المسلمين لتطبيق شريعة الإسلام كلها في أقطارهم ، و لا تزال تبذل هذه المجهودات الجبارة في عديد من دول العالم الإسلامي ، كللها الله تعالى بالنجاح و أقر عيوننا وعيونهم برؤية تطبيق شريعة الله بكاملها في جميع دول العالم الإسلامي .

٣٢- ظاهرة الازدواجية جاءت بسلبيات منوعة ، تشكلت إشكالات تطلب حلها من المسلمين ، ومسوغات بأيدي الأعداء لإبعاد الشريعة عن الساحة العملية ، ومن الظاهر البديهي أن النقص أو الخلل لم يكن في شريعة الله أبداً ، ففيها قابلية كاملة للوفاء بمقتضيات الزمان ، و المسايرة مع عجلة الحياة المتطورة ، إنما كان الخلل في الأسلوب التطبيقي ، أسلوب الفصل والفك بين أجزائها ، وفصل الجزء المبتور من أصل طبيعة الفقه الإسلامي ، وجعله محروماً من خصائصه وعجائبه .

٣٣- هذه الظاهرة كانت أكبر مشكلة تجاه اتجاه التقنين المعاصر ، وربما أصبحت تحدياً لأصحابه في معالجة مشكلات عصرهم الناجمة ، فتوجهوا إلى بحث حلولها في الاجتهادات الفقهية المختلفة ، فكم من مجهودات جبارة لم تستطع جني ثمراتها المأمولة لأجل هذه الازدواجية ، وصدق المثل القائل : "اتسع الخرق على الراقع" ، وهذه المشكلة قائمة حتى لهذه الآونة في عديد من الدول العربية و الإسلامية ، و لا تزال تتمثل تحدياً سافراً للإسلاميين فينة وأخرى .

٣٤- معارضة الأجواء :

مجتمعات المسلمين في دولهم تأثرت إلى حد كبير من الغزو الذي شن عليها الغرب فكرياً وثقافياً وإعلامياً ، وتقهقرهم في شتى مجالات الحياة من

التعليم والتربية والاقتصاد كان هو السبب الآخر وراء ذلك التأثر ، و استمر ذلك مدة أدت إلى التخلخل في تربية النشء المسلم ذهنياً وفكرياً ، فما بقيت الأجواء في صورتها العامة مهيأه لتلقى الأحكام الشرعية بكاملها، وخاصة في الظروف التي كان الغزو الفكري بأنواعه الحضارية والثقافية و الإباحية في هجوم متواصل ، ومع غياب أي نظام تربوي إسلامي صالح للأجيال المسلمة .

٣٥- هذا في جانب ؛ وفي جانب آخر لما بدئ بتطبيق بعض أحكام الشريعة في بعض جوانب الحياة ، الأمر الذي كان معارضاً لطبيعة الفقه الإسلامي ؛ كما تقدم ، ظهرت سلبياته في الجوانب الأخرى للحياة المشكلة بشكل اعتراضات وإشكالات ، حول : "تطبيق الشريعة" ، أثارها الأعداء بتوسيع حجمها تهويل آثارها ، وحدثت عوائق منوعة أمام المخلصين لتطبيق الشريعة .

٣٦- لهذه وغيرها من الأسباب التي يدركها أهل العلم والفكر جاءت معارضة الأجواء كمشكلة في سبيل توفير الفرصة لمواكبة الشريعة الإسلامية الغراء ومسايرتها مع الحياة المتطورة المتوثبة ، وفي مواجهة المسلمين بعدد كبير من المشكلات والقضايا في شتى شعب حياتهم ، المهددة لكيانهم الحضاري والعلمي .

٣٧- غياب النظرة الشمولية :

غياب النظرة الشمولية كان من الأسباب التي أوجدت مشكلات كثيرة ، كان من ميزة الفقهاء والعلماء في كل عصر السعة في النظر ، و شمولية الاطلاع على اتجاهات العصر ، والتناول لها نقداً وتحليلاً و استفادةً ، مما يتطور به ركب التشريع الإسلامي مع الوفاء بمقتضيات الزمان ، إلا أن العصر المعاصر يشهد في بعض الأوساط العلمية سيادة قصور النظر ، و الانغلاقية في نطاق الجزر المحدود ، و عدم التوجه إلى مجريات أمور العصر

والتأهب الكافي لها .

٣٨- من غياب النظرة الشمولية ما نشاهده الآن من اضمحلال أو انقطاع الصلة بين علماء الأمصار المختلفة ، وعدم تبادل الآراء فيما بينهم و الاستفادة من الآخرين ، هذه الظاهرة لا تتفق مع روح الإسلام ، و نظرته الآفاقية ، وميزة العلماء المعروفة ، ولها سلبيات تعكس على مشكلاتهم الناجمة ، و افتقادهم القدرة الكافية لمواجهتها ، وصدق الأستاذ خضري بك متألماً : "فقد بتت الصلات بين علماء الأمصار ؛ فصار العالم المصري لا يكاد يسمع باسم العالم الهندي ، وهذا لا يعرف المغربي ، وهكذا ... ومن أشد الأمور وقعاً أنك تجد في موسم الحج بعض العلماء المختلفة أمصارهم ، ولا يهتم أحدهم أن يتعرف بالآخر أو يروى عنه شيئاً ، وقد أدخل ذلك الضعف على العلوم الإسلامية الشرعية بل وغيرها من علوم الأقدمين التي عمدتها الرواية والتلقي ، لا يكفي أن تستفيد رأى عالم من كتابه ، لأن الكتاب صامت جامد ، أما التلقي فهو الذي يشحذ الذهن ، ويلقح الفكر لما يستتبعه من المناقشة والحوار ، نحن الآن نعلم من الحركة العلمية قبل عشرة قرون ما لا نعلم أقل منه في الهند مثلاً (١) .

٣٩- في هذا العصر المتطور الذي أصبحت فيه دول العالم كالبيوت في قرية واحدة ، وكثرت فيه الأسفار والنقلات ، وازدادت المؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية ، أصبح من السهل اليسير تبادل الآراء ، و تلاقح الأفكار ، والاستفادة المتبادلة ، الأمر الذي كان من نتائجه الطبيعية تواصل حركة التفكير في المشكلات الناجمة ، و البحث الجماعي عن الحلول الناجعة لها .

و لكن النظرة الانغلاقية و غيبوبة الشمولية حرمت العلماء من هذه

(١) خضري بك : تاريخ التشريع الإسلامي : ص/٢٦٨ .

الدوحة اليانعة ثمارها و الدانية قطوفها ، وتسببت من بروز وبقاء المشكلات وتضخمها ما ليس بخاف على أحد .

الفصل الثالث - تطلعات :

٤٠- بعد عرض بعض المشاكل الكبرى الناجمة للأسباب التي ذكرت أو لغيرها من أسباب عديدة ، نجد أنفسنا أمام سؤال مطروح ، هل نبقى في هذه المآزق و المشكلات ؟ وإلى متى ؟ ونظل نكتوى بنارها على الصعيدين العالمي والإقليمي ؟ أو نسعى للتخلص منها وللبحث عن السبل المخرجة منها، لا أظن أحداً يخالف ضرورة الخروج من هذه المآزق المنوعة ، فما هي السبل المقترحة إذن لنيل المرام ، وهنا يمكن حدوث اختلاف النظر في كيفية الخروج ، وليس ذلك بسوء ، يمكن بعد نقاش شتى الجوانب ، و مختلف الأبعاد للقضية التوصل إلى حل معتدل متفقة عليه الآراء أو غالبيتها ، ولو لم يقع ذلك على الصعيد الجماعي ، فلا ينقطع الواجب على الصعيد الفردي حسب الإمكانيات ، لأن : "ما لا يدرك كله لا يترك قُلُّه" .

٤١- هذه القضية تتطلب من العلماء المخلصين الغيارى على الشريعة الإسلامية الغراء التي ليلها ونهارها سواء (١) إسهاماتهم في اقتراح طرق التخلص من تلك المآزق والمشكلات ، وكجهد متواضع مني اقترح بعض النقاط التالية ربما تنال من العلماء الأفاضل النقاش و الحوار حولها .

٤٢- إسلامية الحياة :

هي كلمة أريد معناها الواسع الشامل ، وهو تصبيغ الحياة الإنسانية بالصبغة الإسلامية : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ [سورة البقرة/١٣٨] في جميع جوانبها و مجالاتها ، وهذه تتطلب تطبيق الشريعة في جميع جوانب

(١) مقدمة سنن ابن ماجة : ج/١ ، ص/٥، شركة الطباعة العربية السعودية ، طبعة ثانية ١٩٨٤م .

الحياة ، ولجميع أبواب الفقه ، لأن طبيعة الشريعة الإلهية المنبثق منها الفقه الإسلامي تأبى الازدواجية ، ولا تتلاءم مع إسلامية بعض جوانب الحياة دون بعضها ، وقد ذم القرآن الكريم هذه الازدواجية في قوله :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب * وتكفرون ببعض * فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا * ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب * وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [سورة البقرة/٨٥] .

وحرض على الإسلامية الكاملة في قوله الآخر :

يا أيها الذين آمنوا ! ادخلوا في السلم كافة * ولا تتبعوا خطوات الشيطان * إنه لكم عدو مبين ﴾ [سورة البقرة/٢٠٨] .

و قال النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" (١) .

ولعل ذلك لا يتأتى إلا بعد القناعة بقابلية الفقه الإسلامي - بعظيم مبادئه ومرونة قواعده ومبانيه - لأن يستجيب لكل ما تستدعيه حاجات المجتمع المدني الصالح ، و تطوراته الاقتصادية ، و الاجتماعية والعرفية ، وكل من يطلع على تراثنا الفقهي الزاخر الذي تعاقب على حراسته و تحريره فقهاء الإسلام خلال أربعة عشر قرناً ، يشهد منبهراً ومقتنعاً ، مثل شهادة أحد أعضاء مؤتمر باريس لأسبوع الفقه الإسلامي المتقدم ذكره (٢) .

"أنا لا أعرف ؛ كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي ، وعدم صلوحه أساساً تشريعياً يفى بحاجات المجتمع العصري المتطور ، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ، ومناقشاتها مما يثبت خلاف

(١) مشكاة المصابيح : ٥٩/١، رقم الحديث/١٦٨، المكتب الإسلامي بيروت ، طبعة ثالثة ١٩٨٥م .

(٢) انظر : الفقرة ، رقم/٢٢

ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادئ" (١) .

٤٣- تهيئة الأجواء :

من الواقع الأليم أن مجتمعات المسلمين لكونها عرضة لأنواع الاتجاهات الفاسدة ، والهجومات الإباحية ، وغياب المجهودات المكثفة لتربية النشء المسلم ، اشتدت حاجة ملحة فيها إلى رصد مجهودات جبارة هائلة لتهيئة الأجواء ، و جعلها صالحة لتطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة بكافة مجالاتها و شعبها كلها ، هذه ضرورة أكيدة يشعر بها كل من يقدم إسهاماته في سبيل الشريعة الإسلامية ، و يحلو لي أن أنوه بهذا الصدد تلك التوصيات الثلاث التي قدمت إلى الحكومة المصرية من جانب لجنة إعداد المسودات القانونية ، ولا شك في أنها مهمة وأساسية في إنجاح عملية تطبيق الشريعة الإسلامية في ظروف المنطقة ، وكانت التوصيات تتعلق بثلاثة أمور :

أ- رصد كافة وسائل الإعلام في بث التوجيهات والترغيبات الدينية لإنشاء جو إسلامي عام باستخدام منابر المساجد ، و وسائل الإعلام ، وتقديم خطوات الإصلاح في النظام المصرفي والتجاري ، وغير ذلك .

ب- إجراء الدورات التدريبية أعجل ما يمكن ليتمكن المحامون ، وأعضاء المحكمة ، والآخرون من الاطلاع على هذه القوانين ، ويقدروا على تطبيقها .

ج- إعادة النظر أعجل ما يمكن على مناهج التعليم القانوني في جميع الجامعات ، وإعداد تدريس القانون وفق أسس واقتضاءات الشريعة الإسلامية (٢) .

و يمكن أن تقدم مقترحات أخرى بهذا الصدد وفق ظروف كل

(١) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٧ .

(٢) محمود أحمد غازي : مسودة قانون القصاص والدية : ص/٧ .

دولة وحاجاتها ، والمهم وراء ذلك هو تهيئة الأجواء من كافة الجوانب لضمان عملية تطبيق الشريعة الإسلامية .

٤٤- الاجتهاد الجماعي : ليس هذا الموضوع بجديد ، فقد كتب عليه كثيراً ، وأصبح معروفاً لدى الجميع ، و المهم بهذا الصدد هو تعزيز وتدعيم هذا الاتجاه وتسيير عجلته بأحسن أسلوب ممكن ، كما هناك حاجة إلى الأخذ به في المناطق التي لا يتواجد فيها الآن ، فهو بلا شك حاجة العصر ، وطريق أسلم من الوقوع في الخطأ ، وأضمن للتوصل إلى الحل الصحيح .

٤٥- الانسجام العصري :

في كل مجهود مقدم حول الفقه الإسلامي ينبغي مراعاة تواجد الانسجام العصري فيه ، وذلك يقتضى تقديم الفقه الإسلامي في أسلوب العصر ، وذوق ولغة أهله ، أو في تعبير آخر : عرض الفقه الإسلامي في ثوبه القشيب ، يمكن تحقيق هذا الانسجام العصري باختيار اتجاهات التنظير، والتقنين ، والتأليف الموسوعي التي سلف ذكرها (١) .

ويقتضى كذلك تقديم الأحكام الفقهية ، وأصولها مصحوبة بالأمثلة المعاصرة الحياتية بدل الأمثلة القديمة التي زال رواجها في هذا العصر ، كي يتيسر فهمها على طلاب النشء الجديد ، وتطبيقها على واقع حياتهم المعاصرة .

أسأل الله تعالى أن يلهمني وجميع المسلمين الرشد والصواب ، و يسدد خُطانا على الصراط المستقيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

وصلى الله تعالى على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

* * *

(١) انظر : الفقرات : رقم/٢٢ إلى/٢٦

دور عمل أهل المدينة في الفقه المالكي

(٢/الأخيرة)

بقلم : الدكتور أ.ق.م. عبد القادر
(الأستاذ المشارك في قسم العربية والدراسات الإسلامية ، جامعة سيناعونغ - بنغلاديش)

إن الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ مالك قد رد على أستاذه في كون عمل أهل المدينة حجة ، قال أبو حنيفة في المسح على الخفين : لا بأس بالمسح على الخفين ، للمقيم يوماً و ليلةً من الحدث إلى تلك الساعة من الغد و للمسافر ثلاثة أيام و لياليها ، لا يمسح أكثر من ذلك ، قال أهل المدينة : المسح على الخفين للمسافر أبداً ، وليس في ذلك عندنا وقت ، يمسح على خفيه ما دام مسافراً ما لم يحدث ، وأما المقيم ؛ فإن أهل المدينة اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : لا يمسح مقيم على الخفين ، من هم مالك بن أنس ، ومن أخذ بقوله : وقال غيره من أهل المدينة : المسافر والمقيم في ذلك سواء ، يمسحان على الخفين أبداً ، وليس في ذلك وقت ، وقد كان الإمام مالك يقول بهذا القول زماناً من عمره ، ثم رجع منه إلى الذي ذكرنا آنفاً ، قال الإمام محمد : الآثار في المسح للمقيم يوماً وليلةً ، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها كثيرة معروفة ، ثم ذكر الإمام محمد الآثار الواردة في ذلك ، ومنها ما رواه الإمام مالك ، وأهل المدينة ، ويقول : فهذه آثارهم التي رووها وحملوها ، ثم نقضوها برأيهم (٣٤) ، قال أبو حنيفة في المسح على الخفين : يمسح على ظهر الخفين ، وليس على الذي يمسح أن يمسح باطنها بشئ ، قال أهل المدينة : يجعل كفا على ظهرهما ،

ثابت كثير الشعر جيده ، وهو أشعر أهل المدر غير أنه كان في الجاهلية أشعر منه في الإسلام" (١) .

وأكد نفر من المستشرقين هذه النظرية بقوة ، حيث قالوا : إن الشعر توقف في صدر الإسلام ، وذلك أن الإسلام قد انتشر بين العرب انتشاراً جغرافياً سياسياً منذ انتصار الإسلام الحربي ، ولكن الإسلام الثقافي لم يجد طريقه إلى قلوب المسلمين إلا في العصر العباسي (٢) .

وكذلك حاول في عصرنا هذا بعض البحاثة لإثبات هذا الرأى بالأدلة العقلية ، كما نرى الباحث الكبير جرجي زيدان ؛ يقول : فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب ، وذهبت العصبية لم تبق حاجة إلى الشعر أو الشعراء ، ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الإسلام (٣) ، والدكتور شكري الفيصل ؛ نراه يقول في بحثه : نحن لا نجد في هذا العصر شاعراً نلاحظ فيه العظمة الأستاذية ، ورفعتها لطرفة ، وجودة الأسلوب وندرته لأمرئ القيس ، و عذوبة الموسيقي لعنترة ، و روعة الحكمة للنابغة (٤) .

---

(١) د/عمر فروخ ؛ تاريخ الأدب العربي (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٤م) ط/٥ : ج/١ ، ص/٣٢٦ .

(٢) المرجع السابق : ص،٢٥٨ .

(٣) جرجي زيدان ؛ تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت : دار مكتبة الحياة ١٩٧٨م) ط/٢، ج/١ ، ص/١٨٩ .

(٤) د/عبد الحليم الندوي ؛ تاريخ الأدب العربي (أردو صدر الإسلام) (نيودلهي : ترقي أردو بيورو ١٩٨٧م) : ص/١٤٥ . وأيضاً قال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وصلاح الدين محمد عبد التواب في هذا الصدد : الواقع أن تحول الشعر من روحه و مشربه في الجاهلية إلى روح جديدة ، و حياة جديدة ، و معان ربما ضاقت بها >>>

وهؤلآء الباحثون الذين يرون أن الشعر قد توقف في صدر الإسلام يلتمسون لذلك عدّة من العلل و الأسباب ، فهم إن لم يبعدوا كثيراً عما قاله الأصمعي ، فقد أضافوا تعليلات أخرى ، وهي تتلخص فيما يأتي :

أولاً : سقوط منزلة الشعراء لتكسبهم بالشعر ، وخضوعهم في سبيل العطاء للممدوحين ، ولذلك علا شأن الخطابة ، وانخفض شأن الشعر، وخصوصاً بعد أن صارت الخطابة ، هي الوسيلة الطليعة المرنة لنشر دعوة الإسلام ، قال ابن رشيق : "كان الشعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطابة لحاجة العرب إلى الشعر في تخليد المآثر ، وحماية العشيرة ، فلما تكسّبوا به ، وجعلوه طُعمة ، وتناولوا به الأعراض ، وجعله الأعشى متجراً، صارت الخطابة فوق الشعر" (١) .

ثانياً : إن نفراً من الشعراء الذين ظلوا على الشرك من أمثال عبد الله بن الزبعري ، وكعب بن زهير ، وأبي سفيان بن الحارث ، هجوا الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، فأمر النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم بترك رواية شعرهم .

ثالثاً : إن الإسلام حارب العصبيات ، وحرّم الخمر ، وقاوم الهجاء القبلى القذع ، والغزل الفاحش ، ولم يشجع رحلات اللهو والقنص ، وكل هذه الأمور كانت وقوداً جزلاً لشعلة الشعر ، فلما قاومها الإسلام اقتصرت أغراض شعر المخضرمين على مناقضة شعراء المشركين ، وعلى مدح الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه .

>>> شياطين الشعر ، وتخلفت ففيها أخيلة الشعراء ، هذا التحول قد عاد على الشعر بشئ من الضيق وانقباض الأفق (الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام) – (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية – بدون تاريخ) : ص/٣٠٧ .

(١) د/عمر فروخ ؛ المرجع السابق : ص/٢٥٥ .

رابعا : وبهر العرب ببلاغة القرآن الكريم ، ومـــلأت نفوسهم عقيدة الإسلام وآدابه ، وشغلتهم الفتوح ، فصرفهم كل ذلك عـــن قـــول الشعر ، وروايته إلا قليلاً (١) .

ونحن لا نقبل هذا الرأى على الإطلاق بالرغم مما قدم لإثباته من أدلـــة وعلل ، لأننا نستطيع أن ننقض بعضها أو كلها ، كما أن كثيراً مـــن البـــاحثين المعاصرين – الذين تناولوا هذه القضية بالتفصيل وناقشـــوها نقاشـــاً تامـــاً – يرفضون القول بتوقف الشعر في صدر الإسلام ، ويـــرون أن الشعر قد تطـــور فيه وازدهر ، ومن هؤلآء الباحثين خاصة ؛ الدكتور شوقي ضيـــف في كتابـــه : "تاريخ الأدب العربي" (العصر الإسلامي) ، والدكتور سامي مكي العـــاني في : "الإسلام والشعر"، والدكتور عبد الحليم الندوي في : "تاريخ الأدب العربي" (أردو)، والدكتور سعيد الأعظمي في : "شعراء الرسول الكريم صلّى الله عليـــه وسلّم (٢) ، والدكتور مقتدى حسن الأزهري في : "تاريخ الأدب العربي" ، و حنا الفاخوري في : "تاريخ الأدب العربي" ، والدكتور عبد الله الحامد في : "الشعر الإسلامي في صدر الإسلام" ، والدكتور إبراهيم جمعة في : "حسان بن ثابت" ، والدكتور يحيى الجبوري فـــي : "شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه" ، ومحمد عثمان علـــي في : "في أدب الإسلام" ، فالدكتور شوقي ضيف ، نراه يقـــول : إن الشـــعر ظـــل مزدهراً في صدر الإسلام ، و ليس بصحيح أنه توقف أو ضعف ؛ كما ظن ذلك ابن خلدون ، وتابعه فيه بعض المعاصرين (٣) .

وأيضاً نرى الدكتور سامي مكي العاني ؛ يقول : "إن نهضة الشعر

(١) المرجع السابق : ص/٢٥٥.

(٢) د/سعيد الأعظمي ؛ "شعراء الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم في ضـــوء الواقـــع والقريض" : ص/٢٣ ، طبعة ثانية – دار ابن كثير – دمشق .

(٣) د/شوقي ضيف ؛ المرجع السابق : ص/٤٣.

قد استمرت بعد الإسلام ، إن لم تكن قد تقدمت خطوات بما هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض" (١)، وقال عبد الحليم الندوي في هذا الصـــدد : "إن القـــول بتوقف الشعر في صدر الإسلام ليس من الآراء الخاطئة فحسب ، بل هو متناقض للحقائق العلمية الثابتة (٢) ، قال حنا الفاخوري : "إن الدين الإسلامي لقد منح للأدب العربي أفقاً جديداً بما آتـــاه من معان جديدة ؛ كما أنه مهـــر اللغة العربية بألفاظ ذات دلالة جديدة ، و إن الشعر تـــأثر ببيئتـــه الجديـــدة ، فالمعاني قد ازدادت عمقاً ، و الأخيلة قد ازدادت اتســـاعاً ، والأســـاليب قـــد ازدادت سهولة و عذوبة ، والعاطفة ، فقد نفخت فيها العزة والسيادة" (٣) ، قال الدكتور إبراهيم جمعة بهذه المناسبة : "إن الإسلام قد عدل المعايير الشعرية ، و لكنه لم يغض من شأن الشعر ، بل هذب حواشيه ، وقلـــم أظـــافره ورفـــع مفهوماته الاجتماعية" (٤) .

الواقع أن الشعر قد ازدهر في صدر الإسلام ، ولم يتوقـــف فيـــه ، ولم يتخلف ، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه ، كانوا يعيشون من قبله في الجاهلية ، وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم ، وعبروا بالشعر عن عواطفهم ومشـــاعرهم ، فلما أتمّ الله عزّوجل عليهم نعمة الإسلام ظلوا يشرفونه وينظمونه ، ويكفـــى أن نتصفح كتب الصحابة ، مثل : "الاستيعاب" ، و "الإصابة" ، وكتب التـــاريخ ؛ مثل : "الطبري" ، و كتب الأدب ؛ مثل : "الأغاني" ، و كتب الجغرافية ؛ مثل : "معجم البلدان"، وكتب السير؛ مثل : "سيرة ابن هشام" لنجد الشعر يسيل على كل لسان ، الشعراء يقولون الشعر على كل حدث من الأحداث المتتابعة الـــتي

(١) د/سامي مكي العاني ؛ الإسلام والشعر (الكويت : عالم الكتب ١٩٨٣م) : ص/٢٠.

(٢) د/عبد الحليم الندوي ؛ المرجع السابق : ص/١٤٦ .

(٣) حنا الفاخوري ؛ تاريخ الأدب العربي (بيروت : المطبعة البوليسية بدون تاريخ) .

(٤) د/إبراهيم جمعة ؛ حسان بن ثابت (القاهرة : دار المعارف بدون تاريخ) : ص/٢١ .

طرأت على العرب بعد الإسلام ، و إن تتبعنا المفضليات والأصمعيات ؛ فسنجد المفضل الضبي والأصمعي يحتفظان في كتابهما بكثير من الأشعار للمخضرمين ، وقد عقد ابن قتيبة في الشعر والشعراء تراجم الكثيرين منهم ، ودرج ابن سلام الجمحي في : طبقات فحول الشعراء ، طائفة من ممتازيهم اللامعين ، والحق أن من يرجع إلى كل هذه المصادر المعول عليها يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهراً في صدر الإسلام ، ويدرك أن القول بتوقف الشعر وضعفه فيه ليس بصحيح في الواقع .

الآن نحاول أن نجيب عن أقوال القائلين بتوقف الشعر في صدر الإسلام : أما قول الأصمعي بأن الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان بن ثابت ؛ فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره (١) ، فإن قضية الخير و الشر وحديثها في الشعر قضية خاسرة ، فما يقبل عاقل أن يكون النجاح والقوة فيه اقتصاراً على موضوعات معينه ، وأن يكون السقوط والضعف حليفين لموضوعات أخرى ، ولو سلم ذلك لكان لزاماً أن ينقسم نتاج كل شاعر بحسب موضوعاته ، وتنوعها بين الخير والشر إلى قسمين : قوي ، وضعيف ، ولا ننفى أن يكون للخير شاعر مبرز، ولا نمحى من سجل الخالدين ، أولئك الشعراء الذين لم يفتحوا للشر في شعرهم باباً ، و لبطلت حقيقة ثابتة يعلمها كل الناس في حسان رضي الله عنه ، فمن المسلمات أنه ظفر بخصومه في الإسلام ، وأخرس ألسنتهم ، كما انتصر على أعدائه في الجاهلية وأفحمهم ، فهل نقول : إن انتصاره في العهدين كان بقوة شعره ، وشدة تأثيره ، أو نقول أنه كان في الجاهلية بقوة الشاعرية ، وكان في الإسلام بضعفها مع الصدق ، إننا بذلك نقول قولاً عجيباً .

وأيضاً فإن شوقي ضيف يردّ على الأصمعي بالأصمعي ، وذلك حين يقول : "والحق أن شعر حسان الإسلامي كثر فيه الوضع ، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة ، وهلهلة لا لأن شعره لان وضعف في الإسلام ؛ كما زعم الأصمعي ، ولكن لأنه نخله كثير من الوضع والانتحال" (٢) ، وهو تعليل قال به الأصمعي لينفى عن حسان الركاكة والإسفاف التي تبعده عن الفحول . [للبحث صلة]

(١) د/عمر فروخ ؛ المرجع السابق : ص/٣٢٦ .
(٢) د/شوقي ضيف ؛ المرجع السابق : ص/٨١ .

يحيى بن سعيد الأموي (ت/١٩٤هـ) وكتابه : "المغازي"

[١]

بقلم : الدكتور جمشيد أحمد الندوي
(قسم اللغة العربية بجامعة عليكره)

أسرة يحيى بن سعيد الأموي :

كانت أسرة يحيى بن سعيد الأموي ؛ أسرة ممتازة فائقة بين العرب ، ولها مكانة عظيمة بين أسر قريش وقبائلها ، ولها مناصب عديدة ، ورجالها أشهر وأعز وأمنع بين القبائل في الجاهلية والإسلام معاً ، هي تنسب إلى أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف (١) .

في هذه الأسرة كثرة من الصحابة ، والخلفاء ، والتابعين ، وأئمة المسلمين ممن بذلوا جهودهم في نشر الإسلام ، ونشأة العلوم الإسلامية وتطورها ، منهم من قاموا بالحكومة الإسلامية ، فأدوا دورهم في بناء المجتمع الإسلامي الصافي ، ورفع رأية الإسلام في الآفاق ، ونواحي العالم ، منهم العلماء الأفاضل الممتازون ، فبذلوا قصارى جهدهم في نشر العلوم الإسلامية وتأسيسها ، فكانت لهم الارتسامات والنقوش المستمرة في كل مجال ، لا يمكن محوها من التاريخ الإسلامي .

في الجاهلية لهذه الأسرة رجال لهم المآثر والمناصب التي خلدت

(١) (ابن الأثير – م ٦٣٠هـ) : اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٧هـ : ٦٨/١ ، والأنساب (للسمعاني – م ٥٦٢هـ) مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد ، سنة ١٩٦٢م : ٣٤٨/١ .

أسماؤهم في التاريخ ، منهم قصي بن كلاب كان أبعدها رأياً . وأصدقها لهجةً ، و أوسعها بذلاً ، وأبينها عفافاً ، لا ينازعه أحد في الشرف ، إنه قسم مكة خططاً ورباعاً بين قريش وبني دار الندوة ، فكانت كل أمور قريش فيما ينوبهم فيها ، و حفر بئر القريش بمكة أول مرة ، فاتفقت له طاعتهم ، وكان أمره عند قريش ديناً يعملون به ، ولا يخالفونه ، له عند قريش قدر وفضل و عظمة ؛ حتى أقرت له بالرئاسة و السؤدد ، حتى سمى مجمعاً لجمعه قريشاً ، وقيامه بأمرهم (١) .

كان لقصي أربعة بنين ، منهم : عبد مناف ، وعبد الدار ، وعبد العزى ، و عبد بني قصي ، ففضل الله عبد مناف على سائرهم ؛ حتى كانت الرئاسة له بعد قصي .

كان عبد مناف رئيساً مطاعاً لقريش بعد قصى ، اسمه المغيرة ، وتكنى أبا عبد شمس ، وكان يدعى القمر بجماله ، وجعلته أمه حبى بنت خليل ؛ خادماً لمناف – وهو أعظم أصنامهم عندهم – تديناً بذلك وتبركاً ؛ فسماه أبوه عبد مناف (٢)، له مآثر في الجاهلية منها عقد حلف الأحابيش مع عمرو بن هلال الكناني (٣) .

ومن أبنائه كان عبد شمس من أدى دوراً كبيراً في أخذ الكتاب ، والعهد من ملك الحبشة لمن تجر قبله من قريش ، وأخذ الإيلاف ممن بينه

(١) راجع للتفصيل : كتاب المنمق –لابن حبيب البغدادي (م ٢٤٥هـ) تحقيق الأستاذ خورشيد أحمد فارق ، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد ١٩٦٤م : ص/١٦-١٩ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م : ١/٤٨-٥٨ .

(٢) أنساب الأشراف : ١/٥٢ .

(٣) المصدر السابق ، وانظر للتفصيل كتاب المنمق : ص/٢٧٥-٢٧٩ .

وبين العرب ، وبقيت كلمة قريش قبل وفاته ، ولم يتشتت أمرها (١) .

تنسب بنو أمية إلى ابنه أمية بن عبد شمس ، كان رجلاً حلواً جميلاً عظيم الإلية ، و من أجواد قريش (٢) ، و كان مكثراً وذا مال ؛ فتكلف أن يفعل كما فعل عمه هاشم بن عبد مناف في إطعام قريش في سنة شديدة ، فعجز أن يفعل كما فعل عمه هاشم ، فشمت به ناس من قريش ، و سخروا منه ، وعابوه مما صنع ؛ فهاج ذلك بينه وبين هاشم بن عبد مناف شراً ، ومفاخرةً ، ومخاصمةً ، فكانت أول فرقة دخلت بين هاشم وأمية (٣) ، كما أنه اشترك في وفادة قريش إلى سيف بن ذي يزن (٤) .

من ولده العاص ، ولكن لم نعثر على ترجمته ، وكان له ولد اسمه سعيد أبو حيحة ، كان شريفاً حليماً لم يرد طول الحرب حتى إنه رهن ابنه أبان مرة بأن لم يطل الحرب (٥) ، كما أنه أدى قصاصاً مراراً ؛ حتى قال عمر بن عبد العزى : لم ير في القوم ، مثل : سعيد حلماً وشرفاً (٦) .

كان موجوداً في عصر النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، ولكن الله لم يقدر له مع شرفه أن يسلم ؛ فمات كافراً ، ولكن أسلم أكثر أولاده منهم : عبد الله ، وسعيد ، وعمرو ، وخالد ، وأبان ، كان سعيد ، وخالد ، وعمرو أسلموا في حياته ، وأسلم أبان قبل خيبر رضي الله عنهم ، هم يعدون في كبار

(١) راجع للتفصيل : كتاب المنمق : ص/٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ص/٤٦٤ .

(٣) راجع للتفصيل : أنساب الأشراف : ج/١ ، ص/٦٠-٦١ ، وكتاب المنمق : ص/١٠٣-١٠٧ .

(٤) راجع للتفصيل : كتاب المنمق : ص/٥٣٨-٥٤٧ .

(٥) راجع للتفصيل : المصدر السابق : ص/١٧٨-١٨٥ .

(٦) انظر للتفصيل : كتاب المنمق : ص/١٣٧-١٣٨ .

الصحابة ، وكانت لهم مكانة عظيمة عند النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم فمنهم من كاتب له ، ومنهم من جعله النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم والياً ، وقائداً لسراياه ، وأكثرهم استشهدوا في سبيل الإسلام .

من أولاد سعيد بن العاص ، مَن مات كافراً ؛ هو العاص ، كان نديماً للعاص بن هشام بن المغيرة ، وكانا يدعيان حمقى قريش (١) ، ولكن أسلم ابنه سعيد رضي الله عنه ، وحسن إسلامه ، وكان يعد في كبار الصحابة ، و كان في الحلم مثل جده سعيد بن العاص ؛ حتى سماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحلام قريش (٢) ، استعمله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على الكوفة ، وغزا بالناس طبرستان سنةً ، كما استعمله أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه على المدينة ، مات في قصره بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة ، ودفن بالبقيع (٣) .

له أولاد كثيرون منهم أبان جد صاحبنا الأموي ، ولكن لم نعثر على ترجمته إلا أنه كانت أمه من بني كنانة (٤) ، وكان عقبه بالكوفة (٥) ، وليس له عقب إلا سعيد ، كما يقول أكثر المترجمين للأموي إلا ابن حزم ؛ فيقول : ليس له ولد ، وكان سعيد ابنا لأخيه يحيى بن أبان وأمه بنت عبيد الله بن عمر بن خطاب (٦) .

---

(١) المصدر السابق : ص/١٣٦ .

(٢) المصدر السابق : ص/٤٥٥ و/٤٩٠ .

(٣) راجع للتفصيل نسب قريش -للزبيري : ص/١٧٦-١٨٠ ، وتاريخ الطبري .

(٤) نسب قريش -للزبيري : ص/١٨٠ .

(٥-٦) جمهرة الأنساب -لابن حزم : ص/٧٤ .

سعيد بن أبان والد الأموي (١) : كان من خيار الناس ، ومن خيار عباد الله ، من أفاضل أهل بيته ، سكن الكوفة ، و وفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان صديقاً لعمر بن عبد العزيز .

روى عن معاوية بن إسحاق ، وموسى ، وسيف ابني خليد (٢) ، وسمع عمر بن عبد العزيز ، وروى عنه ابناه عبد الله ، ويحيى ، وعمر بن عبد الغفار الثقفي ، وأبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري (٣) ، لعله من رواة السيرة النبوية ؛ كما ذكر القاضي أطهر المباركفوري أنه حصل على علم المغازي من زياد البكائي (م ١٨٢هـ) عن ابن إسحاق ، ولكن لم يذكره الأستاذ الطرابيشي من رواة المغازي عن زياد البكائي عن ابن إسحاق مع أنه بذل أقصى جهوده أن يستوعب كل رواة المغازي عن ابن إسحاق سواء كانوا قد حصلوا علم المغازي عن ابن إسحاق مباشرة أو حصلوا عن أي رواة ابن إسحاق وتلاميذه ، بل ذكر ابنه عبد الله من حصل المغازي عن زياد البكائي عن ابن إسحاق (٤) .

فلو صح أنه من رواة المغازي عن زياد البكائي عن ابن إسحاق ؛ فيتوضح بذلك أنه كان في أسرة الأموي علم السيرة النبوية موجوداً قبل

---

(١) انظر لترجمته : تاريخ دمشق ،تحقيق العمروي : ٢١/٨-٨ ، والوافي ، تحقيق : ١٥/١٩٥ ، والتاريخ الكبير (رقم الترجمة/١٥١٧) ، وكتاب الجرح والتعديل : ج/٢ ، ق/١/٣ ، وكتاب الثقات -لابن حبان : ٦/٣٤٨-٣٤٩ ، وتهذيب التهذيب : ٤/٢-٣ .

(٢) في التهذيب -لابن حجر : روى عن موسى وسيف بن الجلندي : ٤/٣ .

(٣) في تاريخ دمشق -الفقيمي : ٢١/٧ .

(٤) تاريخ التدوين والسير -للقاضي أطهر المباركفوري بالأردوية : ص/٢٣٢ ، وانظر للتفصيل رواة محمد بن إسحاق أيضاً .

الأموي ، وأنه نشأ في أسرة يكلم الناس فيها عن السيرة النبوية ، فيسمع عن حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من ظفر نعومة و يحفظه ؛ فاشتاق إلى حصول على ذلك العلم مذ شب وبلغ ، فذهب إلى أكبر عالم السيرة النبوية محمد ابن إسحاق في ذلك العصر ، وحصل منه على علم المغازي ، وفاق على معاصريه من رواة أستاذه محمد بن إسحاق بأنه أضاف أشياء جديدة في السيرة النبوية لم توجد في السيرة النبوية لابن إسحاق ، ولكن مع الأسف قد ضاع كتابه ، ولم نطلع على مزاياه .

أولاده : رزق الله سعيد بن أبان أولاداً نجباء كلهم صاحب علم و فضل وثقة ، كما قال الدارقطني عند أكثر الناس ، وهم : محمد ، وعبد الله ، وعبيد ، وعنبسة ، و يحيى صاحب المغازي و السير ، كانوا ببغداد كلهم إلا عبيد بن سعيد (١) ، وذكر السمعاني في الأنساب ، والخطيب في تاريخه أخاهم السادس أبان ، أخل ذكره أكثر مترجميه (٢) ، ذكره الذهبي أيضاً لكن لم يسمه (٣) ، وشذ ابن حبان ، وأحمد بن زهير ، فقالا : و هم أربعة ، ولكن اختلفا في تسميتهم ، فقال ابن حبان : يحيى ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعنبسة (٤) ، فلم يذكر فيهم محمداً ، وقال أحمد بن زهير : و هم : يحيى ، ومحمد ، وعبيدة ، وعنبسة ، لم يذكر فيهم عبد الله (٥) ، وقال الدارقطني مرة : وهم أربعة : يحيى ، ومحمد ، وعبد الله ، وعبيد الله (٦) ، وقال مرة : وهم ستة : عنبسة ، ويحيى ، ومحمد ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وأبان (٧) .

---

(١) الأنساب : ١/٣٥٠ .
(٢) الأنساب : ١/٣٥٠ ، وتاريخ بغداد : ٩/٤٧ ، و ١٢/٢٨٦ .
(٣) سير اعلام النبلاء : ٩/١٤٠ .
(٤) كتاب الثقات : ٧/٦٠٠ .
(٥) جمهرة أنساب العرب : ص/٧٤ .
(٦) تهذيب التهذيب : ٧/٦٦ .
(٧) الأنساب : ١/٣٥٠ ، وتاريخ بغداد : ١٢/٢٨٥ .

وشذ ابن سعد ؛ فذكر في اخوتهم عبد الملك ، وقال : كان أديباً عالماً بالنجوم وأيام الناس (١) ، لعله وهم وتشابه ؛ فقال عبد الملك مكان عبد الله لأنه كان أديباً أيضاً ، و لكن لم يذكر أحد عبد الله ؛ فقال : إنه عالم بالنجوم وأيام الناس ، كما يقول ابن سعد ، فيمكن أنهما شخصيتان متفرقتان ، ولكن لم نسلم قول ابن سعد صحيحاً ، فيكون عددهم سبعة ، ولم يذكر أحد هذا العدد ، فيجدر بنا أن نسلم بأن ابن سعد ، و هم و أخطأ في قوله .

وهم ابن عماد الحنبلي عن إخوته ، فاختلط بين إخوته وأجداده ؛ فقال : "وهم من جعله – أي يحيى بن سعيد الأموي – أحد الإخوة عمرو الأشدق ، وعبد الله ، وعنبسة ، وإنما ذلك أخو أبان جد يحيى المذكور (٢). ولكن القول هذا ليس بصحيح بأنه اختلط في إخوته وأجداده ، وسبب و همه في هذا القول ذلك الاختلاط بين أسماء أخيه يحيى بن سعيد الأموي ، وأسماء أجداده ، بأن نجد في أجداد الأموي رجالاً هم يسمون بهذه الأسماء ، فيسمى من أجداده عبد الله ، وعنبسة أيضاً، كما يسمى من اخوته عبد الله ، وعنبسة أيضاً ، فتشابه على الحنبلي بين هذه الأسماء لإخوته وأجداده ؛ فخلط بينهم ؛ فقال ذلك القول ، أما قوله : عمرو الأشدق من أجداده ؛ فهو صحيح ، ولكن لم يذكره أحد في إخوته ، فلذلك قول الحنبلي كله ، وهم وخطأ .

و الآن إليكم ترجمة موجزة لبني سعيد .

محمد بن سعيد : هو محمد بن سعيد بن أبان ، أبو عبد الله الكوفي

---

(١) طبقات ابن سعد : ٦/٣٩٨ .
(٢) شذرات الذهب : ١/٣٤١ .

[م ١٩٣هـ] (١) ، سكن بغداد وحدث بها عن عبد الملك بن عمير (٢) ، وعبد العزيز بن رفيع ، وهشام بن عروة ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وأبي إسحاق الشيباني (٣) ، وروى عن إسرائيل وجماعة (٤) ، قال يحيى بن معين : ولم يكتب عنه كثير أحد ، كان صاحب سلطان هو ، وأخوه عبد الله ، وروى عنه ابن أخيه سعيد بن يحيى الأموي (٥) .

كان أكبر أولاده ، يقول يحيى بن سعيد الأموي : محمد أخي أكبر مني بعشر سنين (٦) ، وكان ممن سمع المغازي من محمد بن إسحاق ؛ كما يقول يحيى بن سعيد الأموي : كان محمد بن سعيد - أخي - والعوفي ، سمعوا المغازي سماعاً من ابن إسحاق (٧) .

يقول الأستاذ الطرابيشي بعد نقل هذه الرواية : و مع ذلك فالظاهر أن هذا الرجل ليس من رواة المغازي عن ابن إسحاق للأسباب التالية :

١- سمع هو والعوفي من ابن إسحاق ، وربما لم يكن بحوزته نسخة ، من مغازي ابن إسحاق .

---

(١) انظر ترجمته : تاريخ بغداد : ٣٠٣/٥ ، الأنساب : ٣٤٩/١-٣٥٠ ، التاريخ الكبير : ج/١ ، ق/٩٢/١، والجرح والتعديل : ٢٦٤/٢/٣، رواة محمد بن إسحاق : ص/٤٢٠-٤٢٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٤٠/٩ .

(٢) قال البخاري : عبد الله بن عمير : التاريخ الكبير : ٩٢/١/١ .

(٣) الأنساب : ج/١ ، ص/٣٥٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ج/٩ ، ص/١٤٠ .

(٥) الأنساب : ٣٥٠/١ ، وفي تاريخ بغداد كبير مكان كثير : ٣٠٣/٥ .

(٦) المصدر السابق : ٣٥٠/١-٣٥١ ، وانظر أيضاً : كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي : ج/١ ، ص/١٨٢ .

(٧) تاريخ بغداد : ج/١٤ ، ص/١٣٣ .

٢- لم يذكر المترجمون له رواية عن ابن إسحاق : و لم أصب شواهد لها البتة .

٣- قال عنه يحيى بن معين : لم يكتب عنه كثير أحد .

أما رواية ابن أخيه عنه ، فلم تكن فيما رأيت في مغازي ابن إسحاق ؛ فهذا ما يدعو إلى الظن بأنه في جملة سامعي المغازي من ابن إسحاق ، وليس من رواتها (١) .

عبد الله بن سعيد : هو عبد الله بن سعيد بن أبان ، أبو محمد الأموي الكوفي (٢) نزل بغداد ، وحدث بها عن زياد البكائي (٣) ، محدث ثقة لغوي مصنف (٤) ، قال الذهبي : لغزي شاعر (٥) ، وقال مرة : عالم باللغة والشعر (٦) ، وقال السمعاني : تحقق باللغة والشعر (٧) ، وقال الخطيب : كان متحققاً بعلم النحو واللغة ، وأبو عبيد يحكى عنه كثير (٨) .

كان عبد الله بن سعيد ؛ صاحب سلطان (٩) ، وله قدر علم ، قال أبو بكر الأثرم عن أحمد بن حنبل : كان له (أي يحيى بن سعيد) أخ ، له قدر وعلم (١٠) ، روى عنه ابن أخيه سعيد بن يحيى .

---

(١) رواة محمد بن إسحاق : ص/٤٢٢ .

(٢) انظر ترجمته : تاريخ بغداد : ٤٧٠/٩-٤٧١ ، رواة محمد بن إسحاق : ص/٢٠٢-٢٠٣ ، الأنساب : ٣٥٠/١ ، التاريخ الكبير : ج/٣ ، ق/١٠٤/١ .

(٣) تاريخ بغداد : ٤٧٠/٩ .

(٤) رواة محمد بن إسحاق : ص/٢٠٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ١٤٠/٩.

(٦) تاريخ الإسلام (وفيات : ١٩١-٢٠٠/٤٦٣).

(٧) الأنساب : ٣٥٠/١ .

(٨) تاريخ بغداد : ٧٠/٩، والأنساب : ٣٥٠/١.

(٩) الأنساب : ٣٥٠/١ ، وتاريخ بغداد : ٣٠٣/٥ .

(١٠) تهذيب الكمال : ٣٢٠/٣٠ ، وتهذيب التهذيب : ٢١٤/١١ .

ذكر الخطيب في ترجمته : قد أسلفنا ذكر نزوله بغداد في خبر أخيه محمد بن سعيد (١) ، ولكن حينما رجعنا إلى ترجمة محمد بن سعيد ، فلم نجد أي ذكر لنزوله في بغداد .

كان من رواة المغازي عن زياد البكائي عن ابن إسحاق ، فيتضح مما ذكرنا بأن في أسرته شغفاً ، والتفاتاً إلى تحصيل علم المغازي ، فكان جو أسرته ، جو علم المغازي والسير ، و كل رجل من تلك الأسرة يلتفت إليه ، ويشتاق إلى حصوله ، فكان أبوه وأخوه محمد ، ويحيى ، وابن أخيه سعيد بن يحيى معروفين في مجال السيرة النبوية ، مات بعد سنة ثلاث ومأتين (٢) .

عبيد بن سعيد : هو عبيد بن سعيد بن أبان أبو محمد الكوفي [م ٢٠٠هـ] (٣) ، لم ينزل بغداد (٤) .

اختلف في اسمه ؛ فقال الخطيب ، وابن حبان ، والدارقطني : عبيد الله (٥) ، وشذ أحمد بن زهير ، فقال : عبيدة (٦) ، وعند أكثر الناس هو عبيد بن سعيد .

روى عن الأعمش والمنهال بن خليفة ، ومنصور بن دينار، وشعبة ، والثوري ، وإسرائيل ونظرائه .

روى عنه ابن أخيه سعيد ، وإسحاق بن راهويه ، وابنا أبي شيبة ، وأبو كريب ، وعلي بن محمد الطنافسي ، وعبيد بن أسباط القرشي ، وآخرون .

---

(١) تاريخ بغداد : ٤٧٠/٩ . (٢) المصدر السابق : ٤٧١/٩، و : ٢٨٦/١٢.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٤٠٦/٦ ، تهذيب التهذيب : ٦٦/٧ ، سير أعلام النبلاء : ١٤٠/٩ . (٤) الأنساب : ٣٥٠/١ .

(٥) ذكر ابن حجر تحت عبيد الله أيضاً ، و لكن قال : يأتي في عبيد بن سعيد ، تاريخ بغداد : ٢٨٥/١٢ ، كتاب الثقات : ٦٠٠/٧ ، تهذيب التهذيب : ١٨/٧ و٦٦/ .

(٦) جمهرة أنساب العرب : ص/٧٤ .

وثقه جماعة منهم ابن معين ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، وأحمد بن حنبل (١) .

أبان بن سعيد : لم نعثر على ترجمته إلا "أنه يروي عن زهير ، ومفضل بن صدقة ونظرائهما" (٢) .

قد سبق البحث بأنه هو أخ سادس ليحيى بن سعيد الأموي عند بعض الناس .

عنبسة بن سعيد : هو عنبسة بن سعيد بن أبان الأموي ، أبو خالد الكوفي (٣) ، نزيل بغداد ، حدث بها عن ابن المبارك ، وشريك ، وجماعة .

روى عنه ابن أخيه سعيد بن يحيى ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي ، ومحمد حسان الأزرق ، وعلي بن عمرو بن الحارث الأنصاري وغيرهم ، وسمع منه جماعة من البغداديين (٤) .

كان أصغر أولاد سعيد بن أبان الأموي (٥) ، وكان أخوه عبد الله أسن منه ومات قبله – أي عبد الله – ، وهو مات بعد المأتين (٦) .

كان يتولى القضاء (٧) ، و وثقه جماعة منهم ابن معين ، وابن سعد ، والدارقطني وغيرهم (٨) . [يتبع]

---

(١) تهذيب التهذيب : ٦٦/٧ .

(٢) الأنساب : ٣٥١/١ ، سير أعلام النبلاء : ١٤٠/٩ ، وتاريخ الإسلام (وفيات : ١٩١-٢٠٠/٤٦٣) .

(٣) راجع ترجمته في طبقات ابن سعد : ٣٤٥/٦ ، ٤٠٧/٧ ، التاريخ الكبير : ج/٤، ق/٣٦/١ ، تاريخ بغداد : ٢٨٤/١٢-٢٨٦ .

(٤) تاريخ بغداد : ٢٨٥/١٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ٤٠/٩ .

(٦-٧-٨) تاريخ بغداد : ٢٨٥/١٢ .

صور و أوضاع :

أمريكا و الإرهاب

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الندوي

استعمرت أوربا العالم واستولت على نظم التعليم والتربية ، و روجت حضارة خاصة تقوم على التصور المادي الجامح ، المجرد عن القيم والمثل الخلقية ، وقامت بتأثير هذه الحضارة حركات ، وأفكار ، واتجاهات تلقن العنف ، والبطش ، والاستبداد لتحقيق الأهداف المنشودة ، ومن يطالع تاريخ الاستعمار الغربي يصادف سفك الدم ، وقتل النفوس ، والقهر والقمع ، وكبت الحريات ؛ وقد مرت الشعوب المستضعفة بعهد طويل لهذا القهر والبطش ، والذلة والإهانة والحرمان ، ومن لا يعرف ما فعلته بريطانيا في مستعمراتها ، وفرنسا في مستعمراتها ، وهولندا في مستعمراتها ، والبرتغال في مستعمراتها ، و ما فعله النظام البلشفي الغاشم في الجمهوريات الآسيوية الإسلامية في الاتحاد السوفيتي خلال أكثر من سبعين سنة من فرض نظريات وأيديولوجيات ، و ثقافات على الشعوب المستضعفة ، و تغيير مجرى الحياة ، و إجبارها على ما تأباه غيرتها ، وشهامتها ، وعقيدتها ، وثقافتها ؟! وقد غيرت هذه الدول خريطة العالم مرات عديدة بإحداث صراعات ، وإثارة حروب طاحنة انهكت الشعوب وطمست معالم الحضارات .

لقد استعمرت هذه الدول مناطق خاصة سادت فيها حضاراتها ، وعمت فيها مذاهبها الفكرية ، وغلبت فيها لغاتها بأقدار معينة .

إن أمريكا ، رغم أنها تدعى أنها مأوى البؤساء ، و ملجأ التائهين ، وأنها أكبر بلد تمارس فيه الديموقراطية ، وتمنح فيه الحقوق الإنسانية ، وأنها

لم تستعمر بلدا ، و لم تخضع شعبا كما فعلته بريطانيا و فرنسا ، اللتان حاولتا تغيير طبائع الشعوب التي استعمرتاها بتغيير اللسان ، والثقافة والعقيدة ، تفرض اليوم على العالم كله سيطرتها ، وهيمنتها علناً بعد ما كانت تفعل ذلك في الماضي في ستار المعونات الاقتصادية و الدفاعية ، إنها اتخذت خطوة في هذا المضمار بإعلان نظام واحد منطلقه أمريكا على العالم كله باسم النظام العالمي الجديد ، وبدأت تفرض الشروط وتملى على الدول الخاضعة لها نواميس حياة خاصة ، ونظماً سياسيةً واقتصاديةً من وراء هذه المعونات ، تجبر الحكومات بها على اتباع خطاها مثلما كانت الدول الاستعمارية القديمة تجبر الشعوب على الخضوع لها ثقافياً ، واقتصادياً .

لقد جعلت أمريكا الحكومات وسيلة لنشر تصورها ومنهجها للحياة ، وأغفلت الشعوب بكاملها ، وغضت بصرها عن رغباتها ، ومتطلباتها ، فتعيش شعوب هذه البلدان التي يخضع حكامها لرغبات الحكام في أمريكا ، في معزل عن الحياة ، لا دخل لها ، ولا نفوذ لها ، و وقعت بذلك فجوة هائلة بين الحكومات ، و القيادات السياسية ، و بين الشعوب ، والقيادات الشعبية .

وبالإضافة إلى هذا النظام الجديد ، تمارس أمريكا معاملة التمييز بين الحركات والمنظمات ، حتى في الإرهاب والعنف ، والإكراه ، فتعتبر ما لا ترضى به إرهاباً ، وما ترضى به رد فعل ، أو دفاعاً ، أو أمراً طبعياً ، و يتضح ذلك من موقفها إزاء إسرائيل ، وموقفها إزاء الفلسطينيين ، وإزاء حكومة إسرائيل ، و إزاء حكومات الدول الأخرى في مجالات الحياة المختلفة ، فإن جميع الإجراءات التعسفية القاهرة التي تتخذها إسرائيل هي في مصالحة أمن البلاد وسلامتها في نظر أمريكا ، و جميع نشاطات الحركات الإرهابية ، وتصريحات وتحركات قادة إسرائيل المتطرفين الذين يهددون بإبادة العرب ، وضرب الفلسطينيين بالصواريخ ، واستخدام القنبلة الذرية لا تثير ساكناً للقادة الأمريكيين.

كذلك موقف أمريكا من الحركات الإرهابية ، والمنظمات الدينية المسيحية التي تمارس وسائل العنف والاعتداء في البلاد ، وخارج البلاد ، وتهدد البلدان الإسلامية بالإجراءات القاسية بتهمة سوء معاملة المسيحيين ، إلى حد إبادتها ، لا تعتبر عند الأمريكيين إرهاباً ، أما الذين يمارسون نشاطاتهم في الدعوة الإسلامية ، ونشر التعليم الديني ، وإصلاح المجتمع إصلاحاً خلقياً ، ويدعون إلى المعاملة الإنسانية مع متبعي سائر الأديان ، ويحترمون سائر الأديان ، فإن هذه النشاطات كلها إرهاب في قاموس الحكام الأمريكيين ، والأوربيين الذين يسايرونهم ، ويخططون لتجفيف منابع هذه النشاطات ، باعتبارها بؤرة الفساد .

إن الحرب المعاصرة ليست حرباً على بلد واحد ، أو على فرد واحد ؛ كما تدعى وسائل الإعلام ، وإنما هي حرب على اتجاه ، أو على سلوك ، تعتبره أمريكا إرهاباً ، وتُسميه إرهاباً ، فإن الشرح الذي يرافق هذه التعبير شرح ينطبق على العمل الإسلامي وحده ، والإجراءات التي تتخذ تستهدف العمل الإسلامي وحده ، فكأن العمل الإسلامي كله هو إرهاب ، في نظر أمريكا ، وقد انتهزت فرصة الاعتداء على واشنطن و نيويورك لشن هذه الحرب التي كانت تدبر لها منذ زمان ، و كانت الإجراءات التهميدية لها قد اتخذت منذ مدة باسم مكافحة الأصولية الإسلامية ، و أجبرت حكومات الدول الإسلامية على اتخاذ إجراءات لقمع الاتجاه الإسلامي ، فحدث ما حدث في تركيا ، وبلدان إسلامية أخرى خاضعة لحكم أمريكا ، من قمع الحريات الدينية ، وأغلاق المدارس ، وفرض الحظر على الحجاب ، واعتقال الشباب من أصحاب الاتجاه الإسلامي ، وإبقائهم في السجن بدون محاكمة ، ولا يزال ألوف من هؤلآء الشباب في السجون .

وفي أمريكا نفسها مئات الألوف من الشباب في السجون بموجب القانون السري الذي لا يحاكم فيه السجين ، بل يبقى في السجن بدون

إثبات التهمة ، وعلى أساس هذا الموقف اتخذت عدة دول في العالم قوانين مماثلة لاعتقال من تعتبره أصولياً أو إرهابياً ، وتوجه أمريكا الدول التي لم تتخذ هذه الإجراءات إلى اتخاذها .

ولكن الأصولية والإرهاب يسود أمريكا ويعمها أكثر من أي دولة أخرى ، وتغض أمريكا بصرها عن هذه الحركات الإرهابية أو الأصولية ، ومثلما تغض بصرها عن إرهاب إسرائيل ، والإرهاب الذي تمارسه الحركات المعادية للإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم .

يقول تقرير عن جماعات العنف والإرهاب في أمريكا : "ومع اقتراب الألفية الثالثة ، فإن موجة العنف الديني التي ارتبطت بالإحياء الأصولي في الأديان الرئيسية امتدت إلى سواحل الولايات المتحدة الأمريكية ، ففي عقدى الثمانينيات ، و التسعينات ، شهدت الولايات المتحدة هجمات على عيادات الإجهاض ، وعمليات قتل الأطباء والممرضين الذين كانوا يجرون عمليات الإجهاض ، كما تعرضت أمريكا لعمليات تفجير أو انتحار جماعي ، قامت بها ميليشيات وجماعات دينية اعتقاداً بأن أمريكا أمة مسيحية ، وأنها يجب أن تتهيأ للمجيئ الثاني للمسيح ، بدلاً من قيادة العالم على أسس علمانية .

و قد قدمت الأصولية المسيحية التبرير اللاهوتي لنشطاء جماعات العنف المسيحية لاستخدام وسائل العنف ضد النظام السياسي و الاجتماعي (العلماني) في سبيل إحياء الرسالة المسيحية للأمة الأمريكية .

ويقول التقرير :

داخل تلك الجماعات والمليشيات الأصولية المسيحية ، يمكن التمييز بين تيارين أساسيين : التيار الأول استند في تبرير العنف الديني لتغيير المجتمع على أساس القيم الدينية التوراتية والمسيحية ، أما التيار الثاني فيمكن أن نسميه تيار الوطنية المسيحية الأمريكية ، أي تيار الهوية المسيحية لأمريكا .

وتقدم حركة برنامج العمل الدفاعي و مؤسسها القس مايكل براي

مثالا لمنظمات العنف المسيحي التي تستند على تبرير لاهوتي ، ورؤية اجتماعية للعنف .

راج تعبير جيش الله في الإعلام الأمريكي في عام ٩٨-١٩٩٧م ففي عام ١٩٩٧م وقع حادث تفجير عيادة نسائية تجرى فيها عمليات الإجهاض ، وملهى ليلى تتردد عليه النساء المثليات في اتلانتا ، وفي عام ١٩٩٨م تعرضت عيادة إجهاض في برمنجهام لعملية تفجير ، و أعلن جيش الله مسئولية عن إحداث التفجير .

ومن بين القادة الذين يبررون العنف رينولد تيبورمان ؛ يقول : من الضروري في بعض الأزمنة إباحة العنف من أجل الوصول إلى حلول المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا" .

هذه بعض الأمثلة من تصاعد حركات العنف والإرهاب الديني في أمريكا ، وهناك حركات دينية تدعو إلى حرب على البلدان الإسلامية بتهمة سوء معاملة الرعايا المسيحيين ، أما الحركات السياسية ، والحركات الاجتماعية التي تمارس وسائل العنف والإرهاب لمعارضتها مع النظام السياسي فهي كثيرة ، ومعروفة (١) .

ولا يُصدق أحد أن الحكومة الأمريكية التي تطارد حركات الإرهاب في العالم كله ، وتهدد بشن حرب على سائر الدول التي تلجأ إليها هذه الحركات ، لا تعرف مخابراتها هذه الحركات الأصولية التي تدعو إلى ممارسة العنف في البلاد .

* * *

(١) راجع للتفصيل عن الحركات الأصولية والنشاطات الإرهابية في أمريكا ، كتاب : "المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا" -لرضا هلال ، دار الشروق .

واجب الشباب في الظروف الراهنة

بقلم : الأخ نياز أحمد عبد الحميد الطيب فوري
(أستاذ التفسير والحديث ، ومدير مجلة "الفرقان")

نحن نعيش في عصر العلوم والتكنولوجيا ، والكمبيوتر، والإنترنت ، و أصبحت الدنيا كقرية صغيرة ، وتقلصت مسافتها إلى حد مدهش ، اختراعات جديدة ، أسلحة فتاكة ، قنابل ذرية ، صواريخ ليزر، وابتكارات أخرى مدمرة وعامرة ، هناك سباق عنيف بين الدول المتطورة في صناعة الأسلحة ، وهي تفرض الحظر على الدول النامية ، وتضيق الخناق على الدول الإسلامية خاصة ، والناظر في الأحداث الدولية ، والتقلبات السياسية ، وسيناريوهات أمريكية ، و أوربية ، لا يخفى عليه هذه الحقيقة .

هناك مؤامرة دولية جد خطيرة لكبت المسلمين وتكبيلهم ، لئلا يتطوروا ويستطيعوا أن يواجهوا الكفار ، واليهود ، والنصارى ، ويردوا عليهم وجهاً لوجه ، فالأعداء يحسبون المسلمين القوة العظمى للمستقبل ، لذا يبذلون قصارى جهودهم ليشتتوا شمل المسلمين ، ويفرقوا جمعهم ، وينشئوا الطابور الخامس (Fifth Colum) في صفوفهم ، و قد حصل هذا كله ، وتحققت أحلامهم الخبيثة ، و نياتهم الفاسدة ، فالمسلمون متفرقون غير مجتمعين على جميع المستويات في كل مكان ، وليس لهم ثقل في السياسة المحلية والإقليمية ، وهناك رجال ينتمون إلى الإسلام ، و يتزيأون بزى المسلمين ، ولكنهم يتكلمون بلسان الأعداء ، و ينظرون بأعينهم ، ويتفكرون بعقولهم ، ومنهم من درسوا في بلاد الغرب ، وتم تغسيل أدمغتهم بطريقة معلومة ومخططة ، وجاءوا إلى بلدانهم لكي يمثلوا دوراً هاماً لصالح أسيادهم ، و قد حصل هذا في بلاد إسلامية عديدة .

تكالبت الأمم الكافرة على المسلمين ، فهي ترميهم رمية رجل واحد في أنحاء العالم ، وتوجه إليهم كل يوم إتهامات جديدة ، وافتراءات حديثة ، اختلقها زعماء الغرب الذين يمارسون كل عنف ، وشدة ضد المسلمين ، ويُعدون النار والحديد لإبادة المسلمين ، والقضاء على حضارة الإسلام من بلادهم ، ومع ذلك

لا يسمى أي واحد منهم إرهابيا ، ولا عنصريا ، ولا متطرفا ، أما المسلمون فهم حينما يطالبون بحقوقهم وأراضيهم و بلادهم ، ويدافعون عن أنفسهم وأموالهم ودينهم ، فيلقبون بالإرهابيين ، ويعتبرون أكبر خطر للعالم .

مأساة فلسطين المسلمة ليست ببعيدة من الحسبان ، فهي قضية إسلامية ذات أهمية بالغة ، وستكون لها شأن في مستقبل قريب ، ولكنها اليوم تبكى دماً وتناديكم .

فأين أنتم يا مسلمي العالم !؟ هؤلآء اليهود الأفاكون قتلة الأنبياء ، يسفكون دماء أبنائنا ، ونسائنا ، ورجالنا ، وأطفالنا ، و ينتهكون الأعراض علناً وجهاراً، ويشردون المسلمين في فلسطين ، ويدمرون البيوت والبلدان ، و لكن الضمير العالمي لإحراك فيه ، القدس تنادى بأعلى صوت ، وتقول : يا مسلمون ! أين أنتم ؟ هؤلآء اليهود المكرة يدنسونني ، ويهينون كرامتي ، ويحاولون أن يهددونني ... فأين صلاح دين هذا العصر ؟

أيّ واجب أديناه نحن نحو إخواننا المجاهدين في فلسطين ، الدول الغربية تبذل كل غال و نفيس لصالح إسرائيل مع أن اليهود صلبوا نبيهم حسب زعمهم .

لا ينبغي لنا أن نبكى على الشهداء البررة فقط ، ونكتب مقالات تثير الأحزان ، ولكن يجب أن نفعل كما فعلوا ، ونكتب تاريخاً مجيداً ، بدماء قلوبنا ، ونجاهد بالعلم والعمل الجاد ، والدعوة ، والإرشاد ، والتضحية ، والإيثار .

المصائب التي صبت على المسلمين ، إنما هي نتيجة لما كسبت أيديهم ، إن أسلافنا سادوا الدنيا وقادوها ، وكانوا رهباناً بالليل ، وفرساناً بالنهار ، ولكن اليوم ابتعد المسلمون عن الجادة ، و وقعوا في ورطة الشرك والبدع والخرافات ، وابتعدوا عن الشعائر الدينية ، واصطبغوا بصبغة المادية الغربية .

إن العصر الحديث عصر محن وابتلاء للمسلمين ، وبعد هذه المحنة سيكون لهم شأن عظيم في المستقبل القريب – إن شاء الله تعالى – .

إذن لابد للمسلمين أن يتمسكوا بالكتاب والسنة فعلاً ، لا قولاً فقط ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها ، ويتحتم عليهم أن يوحدوا صفوفهم محلياً ودولياً ، و يتركوا العصبيات بجميع أنواعها ، ويعودوا إلى الكتاب والسنة ، ويتمسكوا بهما ، فذلك هو الحل والعلاج .

إصدارات حديثة :

١- مجموعة القوانين الإسلامية

قلم التحرير (س.أ.)

صدرت هذه المجموعة من الهيئة الإسلامية لأحوال المسلمين لعموم الهند ، وهي تتضمن الأحكام الشرعية كلها مما يتصل بأحوال المسلمين الشخصية ، وهي تحتوي على القوانين التالية :

١- قانون النكاح . ٢- قانون الطلاق . ٣- قانون الظهار
٤- قانون اللعان . ٥- قانون الإيلاء . ٦- قانون الخلع
٧- قانون الفسخ والتفريق . ٨- قانون العدة .
٩- قانون ثبوت النسب . ١٠- قانون الهبة .
١١- قانون الوصية . ١٢- قانون الوراثة . ١٣- قانون الوقف .

معلوم أن هذه الهيئة لها مكانتها وأهميتها في شرح الأحكام الشرعية ، و قيادة المسلمين في هذه البلاد دينياً ، و اجتماعياً ، و سياسياً ، واقتصادياً ، وهي موضع ثقة كبيرة لدى الجميع ، وعليها تتفق كلمة المسلمين في جميع الأمور والقضايا ، وقد كان كبار علماء البلاد تولوا رئاستها وإدارتها ، وكان المسلمون من جميع الطبقات و المذاهب الفقهية والسلفية يرتبطون بها . ويجمعون على قيادتها .

تتحلى هذه المجموعة بكلمة موضحة بقلم رئيس الهيئة الحالي فضيلة الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي حفظه الله تعالى ، و بمقدمة ضافية لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، رئيس الهيئة سابقاً ، وهي لا شك مرجع عظيم للأحكام الشرعية المتعلقة بالأحوال الشخصية

للمسلمين ، وقد بذلت في وضعها و ترتيبها مجهودات مخلصة عظيمة استغرقت سنين عديدة ، فجاءت هذه المجموعة دستوراً مهماً للمسلمين في قضاياهم الشخصية ، ورائداً لهم في التوصل إلى أحكام الشريعة في المجالات المذكورة أعلاه .

ولكن هناك ملاحظة ، وهي أن هذه المجموعة تقوم على بناء المذهب الحنفي في الأحكام الشرعية ، و تمثل وجهة نظر المذهب الحنفي فقط ، دون أن تتضمن إشارات إلى اختلاف الأنظار لدى المذاهب الفقهية والسلفية الأخرى ، إذ من المعلوم أن هيئة الأحوال الشخصية تضم جميع الطبقات من المسلمين في هذه البلاد وتمثلها .

نرجو أن تكون الطبعة الثانية ذات إشارات وزيادات لوجهات الأنظار الفقهية كلها ، حتى يتسنى للجميع أن يثقوا في هذه المجموعة الفقهية ، و يتخذوها مرجعاً لأحوالهم الشخصية والعائلية ، كما قد صدرت لها طبعة إنجليزية للطبقة المثقفة بالثقافة العصرية الحديثة .

٢- إصدارات الإكاديمية الفرقانية في مدينة بنغلور - الهند

تفضل فضيلة الشيخ الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي بإهداء مجموعة من مؤلفاته القيمة التي تدور حول القرآن الكريم ، ونظام الفطرة ، والمعجزة الجديدة لكتاب الله ، ومسئوليات علماء الإسلام ، وتتحدث عن موقف الإسلام من النظام العالمي الجديد ، وتحديات القرن الحادي والعشرين ، وعن جهاد القرن الحادي والعشرين من منظور القرآن الكريم ، نسجل فيما يأتي أسماء هذه المؤلفات التي تعتبر هدية غالية للمكتبة الإسلامية العلمية :

١- القرآن ونظام الفطرة .
٢- معجزة القرآن الجديدة ، ومسئوليات علماء الإسلام .
٣- جهاد القرن الحادي والعشرين من منظور القرآن الكريم .

٤- نظرة على النظام العالمي الجديد ، و موقف الإسلام منه ، و تحديات القرن الحادي والعشرين .

وله رسالة قيمة حول : رؤية الهلال ، ومرئيات الإسلام نحو حساب الفلكيين ، تحتوي على استعراض جيد في ضوء الكتاب والسنة .

٣- الزلازل ، دروس وعبر

هذه رسالة ألفها الشيخ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي ، أستاذ المعهد العالي الإسلامي في حيدرآباد (الهند) ، تحدث فيها عن تاريخ الزلازل ، وكونها من أشراط الساعة ، ونتيجة المعاصي و المنكرات ، وما يكمن فيها من عبر ودروس ، وتنبيهات للمسلم ، لكي يرجع إلى ربه ويلوذ به في وقت الشدة و البلاء ، و يستغفر الله و يتوب إليه ، و يعرف مسئوليته في مثل هذه النكبات نحو المنكوبين الآخرين ، و يستخدم التدابير اللازمة للوقاية .

++

مكتب رابطة الأدب الإسلامي الرئيسي لشبه القارة الهندية يزمع عقد ندوة علمية

قرر مكتب رابطة الأدب الإسلامي الرئيسي لشبه القارة الهندية ، والبلدان الشرقية عقد ندوته العلمية السنوية (الثامنة عشرة) ، حول موضوع : "أعلام الأدب الإسلامي" ، وذلك في مدينة "راتشي" ، ولاية "جهاركهاند" (الهند) بتعاون من جمعية العلامة السيد سليمان الندوي التعليمية بجهاركهاند ، وذلك بتاريخ ١١-١٣/من ذي القعدة ١٤٢٢هـ ، الموافق ٢٥-٢٧/يناير ٢٠٠٢م ، نرجو أن يحضر فيها مندوبون من الهند ، والأقطار المجاورة ببحوثهم حول الموضوع .

وسننشر التفاصيل بعد ما يتم عقد هذه الندوة - بمشيئة الله - .

++

إلى رحمة الله تعالى :

١- الأستاذ محمد أيوب الهاشمي الندوي
في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ.)

في ٢٦/أكتوبر عام ٢٠٠١م الموافق ٨/شعبان المعظم ١٤٢٢هـ ، استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ محمد أيوب الهاشمي الندوي الذي كان مشرفاً على ركن المؤلفات الإنجليزية ، والكتب الثقافية في مكتبة العلامة شبلي النعماني بندوة العلماء ، وذلك عقب مرض الكلى الذي أصيب به منذ مدة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان المرحوم من أبناء جامعة ندوة العلماء ، تخرج في الخمسينيات من مرحلة الفضيلة ، ثم درس العلوم العصرية ، وأتقن اللغة الإنجليزية ، وأصبح أستاذاً في إحدى الكليات الرسمية في ولاية "آسام" ، و ظل في هذا المنصب إلى مدة لا بأس بها ، حتى أحيل إلى المعاش ، وقدم خدماته إلى جامعة ندوة العلماء .

والجدير بالذكر أنه كان صهراً للعلامة الشيخ عبد الباري الندوي رحمه الله ، أستاذ الفلسفة الحديثة في الجامعة العثمانية بحيدرآباد سابقاً ، و عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، ومن كبار علماء الهند ومؤلفيها .

رحمه الله الراحل الكريم ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، فإنه سميع مجيب قريب .

***

٢- الأستاذ عبد المجيب سهالوي الندوي
في ذمة الله تعالى

تلقت الأوساط الأدبية والثقافية نبأ وفاة الأستاذ عبد المجيب السهالوي الندوي ، الذي اشتهر بنبوغه الصحفي والأدبي ، وأحرز مكانة عالية في أدب الفكاهة والمزاح ، وقد كان يشغل عموداً خاصاً بالكتابات الفكاهية في جريدة "قومي آواز" اليومية التي صدرت إلى أكثر من نصف قرن في لكناؤ ، وكان مديراً مساعداً لرؤساء تحريرها .

إنه درس في دار العلوم ندوة العلماء ، وبعد التخرج منها التحق بجامعة لكناؤ في كلية القانون ، وأحرز منها شهادة المحاماة .

رزقه الله عمراً طويلاً حافلة بالأعمال الأدبية والثقافية ، توفي في ليلة ٢/نوفمبر ٢٠٠١م ، و قد بلغ من العمر ٩٥/عاماً ، وعاش ما عاش مبجلاً محبباً لدى الناس بأخلاقه وكرم طبيعته ، فكان يوقر الكبار ويرحم الصغار ، ويعامل الجميع بلطف وحب وإخلاص ، طالما كان يزور سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، ويجالسه في مجلس أدبي وعلمي يتبادل معه الآراء والأفكار .

كانت صلته بقرية سهالي بمديرية باره بنكي على بعد ٢٠/ميلاً من لكناؤ ، رحمه الله تعالى وتغمده بالغفران ، وأدخله فسيح الجنان ، وأكرمه يوم الحساب ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

***

٣- النسوة الصالحات اللائي انتقلن إلى رحمة الله تعالى
والدة الشيخ عبد العزيز البهتكلي في ذمة الله تعالى

والدة الشيخ عبد العزيز الندوي البهتكلي ، أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء ، التحقت بالرفيق الأعلى في مدينة باتكل ، ولاية كرناتكا ، بعد أن ظلت طريحة الفراش إلى أربعة أشهر ، وذلك في ١٦/من شهر أكتوبر ٢٠٠١م ، الموافق ٢٨/رجب ١٤٢٢هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة ذات مكانة بارزة في الوسط الذي عاشت فيه في الورع والتدين ، وكانت حريصة على تربية أولادها على العلم والدين ، فكان الشيخ عبد العزيز مثالاً لذلك ، وقد خلفت وراءها أولاداً وأحفاداً صالحين ، تغمدها الله تعالى بواسع رحمته ، وأدخلها فسيح جنانه .

ومما يؤسف له أن الشيخ عبد العزيز كان خارج البلاد ، ولم يُكتب له الحضور لدى هذا الحادث ، فنعزيه على هذا المصاب ، و نرجو أن يكون لوالدته ولداً صالحاً يدعو لها .

***

٤- حرم فضيلة الشيخ محمد عبد الله المغيثي في ذمة الله تعالى

فوجئت أسرة ندوة العلماء بنبأ وفاة حرم فضيلة الشيخ محمد عبد الله المغيثي في حادث مروري فجاءة ، وذلك في ١١/من شهر أكتوبر ٢٠٠١م ،

المصادف ٢٣/من شهر رجب ١٤٢٢هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كانت الفقيدة ذات خصائص طيبة ، و محبيـــة في أسرتها ، تقوم برعاية الأسرة و تربية الأولاد بأحسن أسلوب ، وكانت مساعدة لزوجها الكريم في أداء الأعمال الإسلامية ، والواجبات الدينية والدعوية ، فكانت وفاتها صدمة عنيفة له ولسائر أعضاء الأسرة ، وباعثة على الحزن والألم لهم جميعاً ، خلفـــت وراءها ستة من البنين والبنات .

تغمدها الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر لها زلاتها ، وأسبغ عليها نعمـــة العز والسعادة ، وأدخلها فسيح جناته ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

***

٥- رحيل زوجة الأخ عبد الله علاء الدين الندوي إلى رحمة الله تعالى

تلقينا بغاية من الأسف والأسى نبأ وفاة زوجة الأخ عبد الله علاء الدين الندوي ، فقد استأثرت بها رحمة الله تعالى بعد ما عاشت مريضـــة تعـــاني آلام المرض منذ سنوات عديدة ، في ٨/من شهر أكتوبر ٢٠٠١م الموافق ٢٠/مـــن شهر رجب ١٤٢٢هـ في مدينة بمبائي الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت المرحومة تعتني بالشئون التعليمية والتربوية في أســـرتها ، ومـــع أولادها ، وكانت تحب ندوة العلماء ، وقد قامت بزيارتها قبل مدة ، وأعجبت بها أيما إعجاب ، فبعثت ابنها الكبير للدراسة فيها .

ومما يجدر بالذكر أن والد الأخ عبد الله الشيخ علاء الدين رحمـــه الله ، كان ذا اهتمام كبير بندوة العلماء ، وعلاقة مخلصة لســـماحة العلامـــة الكبـــير الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى .

وكان سبباً لتوسعة نطاق المهتمين بندوة وتعريفها إلى الناس ، توفي قبل مدة لا بأس بها ، رحمه الله .

نبتهل إلى الله أن يتغمد المرحومة برحمته الواسعة ، ويغفر لهـــا زلاتهـــا ، وينزلها في الجنات والنعيم ، ويلهم زوجها وأولادها الصبر الجميل .

* * *

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)
ص. ب ٩٣
هاتف : ٧٨٨١٦٦-٧٨٧٢٥٠
رقم الفاكس : ٠٥٢٢-٧٨٧٣١٠

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P. O. Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0522-787310

رسالة أخوية مهمة

حفظه الله تعالى للإسلام

حضرة الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيـــدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كـــل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٦/عاما بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السابع والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاســـية جـــداً ، وبتكلفـــة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومـــادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملـــة إخوانكـــم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر مـــن أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :
مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)